سورة يس

﴿ تفسير وبيان ﴾

دراسة بلاغيـــة

اعـــداد

د/ منى محمد على عيد

أستاذ مساعد البلاغـــة والنقـــد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس ـ تفسير وبيان ـ دراسة بلاغية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين علم بالقلم – علم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد النعمة المسداة والسراج المنير. وبعد:-

فإن دراسة البلاغة العربي في ضوء القرآن الكريم رسالة شريفة وهدف أصـيل يحقق الأمل المنشود لكل طالب علم، ولمن أراد أن يستزيد فمثل هذه الدراسة التطبيقية تعد تطبيقاً للقواعد من خلال الاغتراف من المنبع الأصيل–المعجزة الخالدة والفيض الغزير، العطاء الغير مجذوذ، ومن ثم قامـت جهـود العلماء بالدراسة على ضوء القرآن الكريم وستكون هكذا إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونحـن نعلـم أن الله عـز وجـل تحدى بكتابه أرباب الفصاحة والبيان والبراعة ومازال هذا التحدي قائماً إلي يوم الدين قال الله سبحانه وتعالى " قُـل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِـثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً " ولقد هداني الله تعالى إلي دراسة سـورة عظـيمة مـن سورة القرآن الكريم ألا وهي " سورة يس " تلك السـورة التـي اهتمت بموضوعات عدة ولقد دفعني للبحث البلاغي في هذه السورة:

١- أنها سورة عظيمة لها أثرها وقد أشارت إلي شأن القرآن الكريم والرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – من الآية رقم (١) إلي الآية ١٢، وقصة أصحاب القرية من آية ١٣ إلي الآية رقم

٣٠، وبعض مظاهر قدرة الله تعالى وذكر بعض أحوال الكفار من آية ٤٠ إلي ٥٤، وذكر أصحاب الجنة وأصحاب النار من آية ٥٥ إلي آية ٦٥.

٢- ما ذكر من شأن أصحاب الجنة والنار لتكون بذلك العبرة والعظة، وجبر الله تعالى وحلمه، وتنزيه الرسول الكريم عن أن يكون شاعراً والقرآن عن كونه شعراً وإثبات الربوبية الموجة للإقرار بالوحدانية ثم مناقشة الكافرين في أفكارهم للبعث وكل ذلك بمعان بلاغية سامية لا يدرك جانباً منها إلا من خلال التعمق والتبحر في آيات الله تعالى وعلى قدر استعداده وقدر ما يمنحه الله من التوفيق، ثم التدبر والرجوع للحق سبحانه واثبات البعث من آية ٧٧ إلي آية ٨٣ وقد جاء البحث على النحو التالي:

١- التمهيد ويشمل اسم السورة مناسبتها لما قبلها في الترتيب النزولي والمصحفي ومكان نزولها وعدد آياتها، ومقاصدها والأسلوب الذي استخدمته.

٢- العرض والبيان للسورة عرضاً يسير على هذا المنهج.

أ- ربط الآيات بعضها ببعض مرتبة مرقمة في مواضعها.

ب- تناول معاني الحروف والكلمات بالشرح والتفصيل والقصص الموجود فيها وذكر ما يستفاد من الآيات من عبر وعظات وأحكام وبيان.

جـ- المعاني البلاغية المذكورة في الصورة ووجه جمالها وتمكنها من مكانها وحسنها وتأديتها الغرض منها في أجمل لفظه وأرق وأروع عبارة سواء كان ذلك الغرض متعلقاً بالمعاني أو البيان أو البديع.

وتعرضت للفظة القرآنية وكيفية اختيارها.

والله ولي التوفيق

د/ منى محمد علي عيد

أ. مساعد البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بسوهاج

أولاً: التمهيد:

اسم السورة التي بين أيدينا " يس " وهي سورة مكية، عدد آياتها (ثلاث وثمانون آية)، عدد كلماتها (سبعمائة وتسع وعشرون كلمة) (وثلاث آلاف حرف)، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اله صلى اله عليه وسلم " إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس " (١).

نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم ويتنقلوا إلي جوار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (٢).

ولهذه السورة العظيمة فضلها وقدرها وهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعال وعن عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال: " إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها وهي يس " (٣).

ومما ورد في فضائل سورة يس ما ذكره الحافظ بن كثير في تفسيره

---

(١) من حديث الإمام أحمد. وأبي داود والنسائي وابن ماجه والطبراني ينظر روح المعاني ٢٠٨/٢٢ وتفسير الحازن وبهامشة تفسير النبوي المعروف بمعالم التنزيل جـ ٢/٦ ط ١٩٥٥م مصطفى البالي الحلبي، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق غالب ان عطية ١٨٥/١٣، وأورده السيوطي ٢٩٩/٥، أخرجه الدارمي ٥٦/٢، باب فضل يس عن أنس بزيادة من قرأها فكأنما قرأ القرآن كله مسند الشهاب.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣٥٨/٤، وجامع البيان في تفسير القرآن الطبري مجلد ١٠ ص ٩٧ دار الجيل بيروت – لبنان، والقرطبي، ٣/١٥، ٤، وتجريد البيان لتفسير القرآن مجلد، ص ٣٠٠، المحرر الو الوجيز ١٨٥/٣.

(٣) ينظر ابن عطية ١٨٥/١٣.

عـن الحـافظ أبي يعلى قال حدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل حدثنا حجاج محمـد عـن هشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة رضي الله عـنه يقـول: قال رسو الله صلى الله وسلم: " من قرأ يس في ليلة أصح مغفـوراً له ،ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له " [١] والله أعلم.

وقـيل ورد في الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم - ندب إلي تلقين يـس لمن دنا منه الموت وقراءتها عند رأسه لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوى والأعضاء الظاهرة ساقطة البنية لكن القلب يكون أقبل على الله تعالى ورجع عن كل ما سواه فيقرأ ما يزداد به قلبه [٢].

وسـبب تسـميتها بسورة " يس " لأن الله أفتتح السورة بهذا وهو إشارة إلي إعجاز القرآن وسموه لأنه يتركب من تلك الحروف العربية المعروفة ومـع ذلـك عجـزوا عـن الإتيان بمثله، وقيل ورد إسمها في كثير من الأحاديـث النبوية مثل حديث " أبو هريرة رضي الله عنه " "من قرأ يس فـي لـيله أصبح مغفوراً له" [٣]وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة وليسهل خروج الروح [٤].

وقيل تسمى العظيمة، والمعمة والمدافعة القاضية [٥].

وهي السورة الحادية والأربعون في ترتيب النزول في قول جابر بن زيد

---

(١) ينظر ابن عطية ١٨٥/١٣.

(٢) الرازي مجلد ١١٣/١٣.

(٣) ابن كثير ١٥٤/٣ وينظر تفسر الصاوي على الجلالين ٢٦٣/٣.

(٤) تفسير روح المعني - الألوس ٢٠٩/٢٢.

(٥) ينظر روح المعني ٢٠٩/٢٢، والتحرير والتنوير ٣٤١/٢٢.

نزلت بعد سورة " قل أوحي " وقبل سورة الفرقان (١).

وفي ترتيب المصحف الست والثلاثون.

ثانياً: البيان في النص:

التفسير:

" يـــس " قـــيل أن الحـــروف المقطعة في أوائل السورة الكريمة للتنبيه على إعجـــاز القـــرآن الكريم وأنه من جنس هذه الحروف الهجائية التي يعرفونها ويتكلمون بها ولكن النظم مختلف وهو في أعلى درجات البلاغة فنظمه البديع المعجز آية وعلامة على كونه من عند الله تعالى (٢).

وهذا دليل على أنه ليس بإمكانهم الإتيان بمثله.

وعن ابن عباس معنى " يس " يا إنسان بلغه الحبشة، وقيل هو اسم من أســـماء الله تعالى وهو قول مالك، وقيل هو اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم دليل قوله بعده "إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ"، وقيل معناه " يا سيد البشر " قاله أبو بكر الوراق، وقيل اسم للقرآن الكريم (٣).

" وَالْقُـــرْآنِ الحَكِيمِ " (٤) قسم من الله تعالى بالقرآن،والحكيم المحكم الذي لا يأتيه تغيير ولا تبديل ولا يعتريه نقص أو بطلان قال القرطبي: " أحكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل " (٥).

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٤٢/٢٢.

(٢) يس آية رقم " ١ " وينظر فتح القدير ٢٩/١: ٣١، ٤٤٤/٤ - ٤٤٥.

(٣) ينظر ابن كثير ٥/١٥ وتفسير الخازن ٢/٦ والألوس ٢١٠/٢٢، ٢١١.

(٤) آية رقم " ٢ "..

(٥) تفسير أبي السعود ٢٤٧/٤.

وقيل هو الناطق بالحكمة من حيث النظم المعجز المنطوي على بدائع الحكم [١]. قال النقاش لم يقسم الله لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا محمد صلى الله عليه وسلم - تعظيماً وتمجيداً [٢].

وفي قوله ومنى النداء [٣].

التحليل البلاغي:

لقد أقسم تعالى بهذا الكتاب المحكم الذي بلغ أعلى مراتب الفصاحة والبيان والبراعة على أن محمداً رسوله الكريم المرسل من رب العالمين بكتاب بديع في نظمه ومعانيه وحكمه ومتقناً في التشريع، وجواب القسم أي إنك يا محمد لمنَ المرسلين في قوله " إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ " [٤].

وفي قوله " وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ " قيل الحكمة صفة لعاقل وهذا التعبير يخلع على القرآن الكريم صفة الحياة والقصد والإرادة وهي من مقتضيات أن يكون حكيماً ومع أن هذا مجاز كما وضح الرازي في كتابه " وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ " أي ذي الحكمة كعيشة راضية أي ذات رضا أو على أنه ناطق بالحكمة فهو كالحي المتكلم وعلى القول الأول للرازي يكون المجاز هنا مرسلاً والمجاز المرسل هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الحقيقي [٥]. وفي قوله تعالى: " وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ " قيل أنه كلام مستأنف لا محل له من الإعراب

---

(١) القرطبي ١٥/٥ - الطبري ٩٧/٢٢، الانتصاف على الكشاف ٣١٤/٣.

(٢) فتح القدير ٤٤٥/٤.

(٣) القرطبي ٥/٨ وروح المعاني ٢١١/٢٢، ٢١١.

(٤) يس آية " ٣ ".

(٥) ينظر الأسرار ص ٣٢٣، الإيضاح ٨٩/٣، ٩٠ بقية.

وهـو قسـم وجوابه "إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ" وقوله " وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ " هنا يصور الحقيقة ويقربها من الواقع لأن للقرآن روحاً وعاطفة [١]

وفـي قولـه تعالى " إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ " هنا بيان كون النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط المستقيم الذي يكون عليه المرسلون، وقيل أن التأكـيد بالقسـم هـنا رد لقول الكفار له لست مرسلاً [٢]وتقدم ما يشعر بـأنهم على جانب عظيم من الإنكار أي قوله تعالى " فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ".

وهـذا جـواب للقسـم والمقصـود تعظـيم شـأن المقسم به لاتصافه بالكمـال [٣] وقـيل وتأكيد هذا الخبر بالقسم وحرف التأكيد ولام الابتداء باعتـبار كونه مراداً به التعريض بالمشركين الذين كذبوا الرسالة وهو تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريض للمشركين فالتأكيد فيه زيادة تقرير [٤].

"عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" أي الطريق والمنهج القيم لا انحراف فيه ولا اعوجاج ألا وهو الدين السمح دين الرسل الذين جاءوا بالإيمان والتوحيد [٥].

" تَـنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ " أي هذا القرآن العظيم الشأن الهادي للصواب تنزيل رب العزة سبحانه العزيز في ملكه الرحيم بخلقه.

قـرأ نـافع وبـن كثير وأبو عمرو وأبو بكر برفع تنزيل على أنه خبر مبتدأ

---

(١) قبسات من القرآن والسنة ص ٢٨١.

(٢) ينظر الصاوي على الجلالين ٢٦٤/٣ بالهامش.

(٣) ينظر روح المعاني ٢١٢/٢٣ والتفسير والوسيط د/ طنطاوي ١١/٢٢.

(٤) التحرير والتنوير ٣٤٥/٢٢، ٣٤٦.

(٥) فتح القدير ٤٤٥/٤

محـذوف أي هو تنزيل ويجوز أن يكون خبراً لقوله " يس " والباقون بالنصب على المصدرية، والمعنى أن القرآن تنزيل العزيز الرحيم [١].

التحليل البلاغي:

لقد جاء سبحانه وتعالى بالتنكير في قوله " على صراط مستقيم " للتفخيم والتعظـيم، وفـي لفـظ الصراط المستقيم " استعارة تصريحية ولقد ختم سـبحانه الآيـة بقوله " العزيز الرحيم " فقيل للإشارة إلي أن العزة على من لم يؤمن منهم والرحمة لمن آمن [٢].

وقيل تقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار [٣].

ولقـد أشـار أبو السعود في تفسيره لهذه الآية إلي ما تضمنه قوله عز وجـل " العزيز الرحيم " من ترهيب وترغيب واستئناف وذلك في قوله: " فـي تخصـيص الاسـمين الكريمين المعبرين عن الغلبة التامة والرأفة العامـة حـث على الإيمان به ترهيباً وترغيباً وأشعاراً بأن تنزيله ناشئ عـن غايـة الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيـنَ " وقـيل النصب على أنه مصدر مؤكد لفعله المضمر أي نزل التـنزيل العزيز الرحيم على أنه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن [٤].

---

(١) فتح القدير ٤/٤٤٥.

(٢) الاتقـان فـي علوم القرآن ٣/٢٤٤، ٢٢٧ للسيوطي الهيئة العامة لكتاب سنة ١٩٧٤م.

(٣) إرشاد العقل السلم ٦/٢٤٨ دار أحياء التراث العربي بيروت.

(٤) إرشاد العقل السليم ٧/١٥٩.

وقيل عبر عن المنزل بالمصدر مبالغة حتى كأنه نفس التنزيل [١].

قال تعالى: " لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ " [٢].

أي لتنذر يا محمد بهذا القرآن العرب الذين ما جاءهم من رسول ولا كتاب لتطاول الفترة عليهم والمراد من الإنذار هنا التخويف والترهيب من عذاب الله " فَهُمْ غَافِلُونَ " أي بسبب ذلك غافلون عن الإيمان والهدى وطريق الرشاد يتخبطون في الشرك وعبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر [٣].

التحليل البلاغي:

نجد أن أكثر ما يستعمل في القرآن الكريم التخويف من عذاب الله تعالى فذكر بعض الأفراد لا ينبغي العموم من أهل مكة أو أكثر الكفار على الإطلاق وسر تنكير قوماً للتكليف لأن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تقتصر على زمن دون آخر وخاصة بعد الرسالة.

قال تعالى: " لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ " [٤].

الام هنا موطئة للقسم أي والله لقد حق وثبت عذاب النار على أكثر هؤلاء المشركين بسبب إصرارهم على الكفر والإنكار وعدم تأثرهم

---

(١) فتح القدير ٤/٤٤٥ - ٤٤٦.

(٢) يس آية " ٦ ".

(٣) الكشاف ٣/٤، ٣١٥، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار تحقيق د/ عدنان زرزور ص ٥٧٤ دار التراث، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٢/١٨٨

(٤) يس آية " ٧ ".

بالتذكير والإنذار فهم لذلك لا يؤمنون بما جئت به يا محمد.

وسر التعبير لضير الفصل في قوله " فهم " قبل الفاء واصلة بين الجملتين ورابطة الثانية بالأولى، وهم [١]وقيل الفاء تفريعية داخلة على الحكم المسبب عما قبله وقيل تعليله [٢] " إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ " [٣].

قيل المراد من التمثيل السابق أفهم لا يزعنون للإيمان ولا يخفضون رؤسهم له [٤] وقيل في معنى الآية إنا جعلنا هؤلاء المحكوم عليهم بالشقاء كمن جعل في عنقه غل وجمعت يداه في عنقه تحت ذقنه [٥] فارتفع رأسه فصار مقمحاً، والمقمح هو: الرافع الرأس واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين لأن الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين إلي العنق، وقيل هو مثل ضربه الله لهم في امتناعهم عن الهدى كامتناع المغلول [٦].

التحليل البلاغي:

في قوله تعالى " إِنَّا جَعَلْنَا " عبر بقوله جعلنا مستقبلاً بصفة الماضي لتحقيق وقوعه وهي تقدير لما قبلها واستعارة تمثيلية حيث شبه حال الكفار في امتناعهم عن الهدى والإيمان بمن غلت يده إلي عنقه

---

(١) المحرر الوجيز ١٣/١٨٨.

(٢) ينظر روح المعاني ٢٢/٢١٤.

(٣) يس آية " ٨ ".

(٤) الجلالين ٣/٢٦٤.

(٥) الجلالين ٣/٢٦٤.

(٦) الجلالين ٣/٢٦٤.

بالسلاسل فأصبح رأسه مرفوعاً فلا يستطيع خفضاً له ولا إلتفاتاً، وبمن سدت الطرق في وجهة فلم يهتد لمقصوده وذلك بطريق الاستعارة التمثيلية وهو تصوير حسى لحالة نفسية لتتمكن الصورة في النفس، وجه الشبه أن كليهما لا يستطيع الإنفكاك عما هو فيه(١).

وقال الدكتور محمد محمود حجازي عن هذه الآية أن الآية حقيقية وليس فيها استعارة وإنما هذا تصوير لهم يوم القيامة لقوله تعالى " الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ " (٢).

وقبل أن ذلك كناية عن منع الله إياهم عن الاهتداء.

وفي قوله " فهي.... الخ" الكناية هنا ليس المراد بها الإصطلاحية ولكن بمعنى أن الضمير في " هي " يعود على الأيد لأعلى الأعناق وقيل أنها راجعة إلي الأغلال وهو اختيار الزمخشري والرازي (٣) وفي قوله تعالى " وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَداً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَداً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ " (٤).

أي غطينا أبصارهم أو ألبسناها غشاوة أي عمي فهم لا يبصرون سبيل الهدى ولا يبصرون محمداً صلى الله عليه وسلم حين أئتمروا على قلته وقرأ بالعين المهملة من ضعف البصر (٥).

---

(١) ينظر: الكشاف ٣/٣١٤، ٣١٥، الطبري ٤٤٠، فتح القدير ٤/٤٤٦، ٤٤٧ الخازن ٢/٦ المحرر الوجيز ١٣/١٨٨، ١٨٩.

(٢) سورة غافر آية " ٧١ ".

(٣) ينظر الكشاف ٣/٢٦٤،والرازي المجلد١٣/ص ٤٤،٤٥والتفسير الوسيط ٢٢/١.

(٤) يس آية " ٩ ".

(٥) الكشاف ٣/٢٦٥.

التحليل البلاغي:

ذكر سبحانه الطباق في قوله " وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَداً وَمِنْ خَلْفِهِمْ " وهو طباق الإيجاب مؤدياً الغرض المنوط منه بأسلوب رائع وقد بين سبحانه شانهم بطريق التوبيخ وذلك في قوله تعالى " وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ " [1] وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه طباق السلب أي يستوى عندهم آنذاك تخويفك وعدمه لأن من ختم على قلبه الضلالة وشهوات الطغيان لا تنفعه القوارع والزواجر وفي قوله " حق " أي ثبت والجملة جواب لقسم محذوف وفي قوله " لا يؤمنون " أي فهم لذلك لا يؤمنون لأن الإنذار لا يحي القلوب الميته إنما يوقظ القلب الحي فقط المستعد لتلقي الإيمان وهذا كلام تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وكشف لحقائق قلوبهم.

وفي القول السابق بيان لما وصل إليه هؤلاء من عناد.

وفي قوله سبحانه " فَأَغْشَيْنَاهُمْ " بحف الفاء يقتضي أن يكون للإغشاء بالسد تعلق ويكون الإغشاء مرتباً على جعل السد فكيف ذلك؟ يقول الرازي ذلك من وجهين [أحدهما أن يكون ذلك بياناً لأمور مترتبة يكون بعضها سبباً للبعض فكأنه تعالى قال " إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً " فلا يبصرون أنفسهم لإقماحهم " وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَداً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَداً " فلا يبصرون ما في الآفاق وحينئذ يمكن أن يروا السماء وما على يمنهم وشمالهم فقال بعد ذلك كله " وجعلنا على أبصارهم غشاوة " فلا يبصرون شيئاً أصلاً. و" ثانيهما " هو أن ذلك بيان لكون السد قريباً منهم

---

(١) يس آية " ٩ ".

بحيث يصير ذلك كالغشاوة على أبصارهم فإن من جعل من خلفه ومن قدامه سدين ملتزقين به بحيث يبقى بينهما ملتزقاً بهما تبقى عينه على سطح السد فلا يبصر شيئاً، أما غير السد فاللحجاب، وأما عين السد فلكون شرط المرئي أن لا يكون قريباً من العين جداً] (١).

قال تعالى " إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ " (٢).

أي إنما ينفع أنذارك يا محمد من آمن بالقرآن وعمل ما جاء فيه " وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ " فخاف الله دون أن يراه.

قيل " لتنذر" هذا يقتضى الإنذار العام أما قوله " إِنَّمَا تُنذِرُ " يقتضى التخصيص فكيف الجمع بينهما ؟ قيل من وجه الأول " لتنذر " أي كيفما كان مفيداً أو لم يكن " إِنَّمَا تُنذِرُ " أي الإنذار المفيد ولا يكون إلا لمن يتبع الذكر ويخشى. " الثاني " لما ذكر الإنذار وعدمه سيان بالنسبة لأهل العناد قال لنبيه ليس انذارك غير مفيد فأنذر على سبيل العموم وهو الإنذار العام كأنه يقول سبحانه أنه بإنذارك يا محمد تهدي ولا تدري من تهدي فأنذر الجميع. " الثالث " أن " لتنذر " أي أولاً فإذا أنذرت وبالغت وبلغت واستهزأ بعض وتولى واستكبر وول، فأعرض بعد ذلك فإنما تنذر الذين اتبعوك: " الرابع" أنك تنذر الكل بالأصول وبالفروع من ترك الصلاة والزكاة من اتبع الذكر وآمن (٣) وفي قوله " مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ " قيل أن الرحمة تورث الاتكال والرجاء فقال مع أنه رحمن ورحيم فالعاقل

---

(١) ينظر الفخر الرازي المجلد ٤٦/١٣.

(٢) سورة يس آية " ١١ ".

(٣) الفخر الرازي ٤٧/١٣.

لا ينبغي أن يترك الخشية، كما أن من أسماء الله أسمين يختصان به هما الله، والرحمن كما قال تعالى " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ " " وخَشِيَ الرَّحْمَنَ " يعني مع كونه ذا هيبة لا تقطعوا عنه رجاءكم ومع كونه ذا رحمة لا تأمنوه، وقوله " بِالْغَيْبِ " أي بالدليل [١]وفي قوله " إِنَّمَا تُنذِرُ " إنما أداه حصر وقصر ورد على هذا الحق أشكالاً كما سبق أن ذكرنا والمراد أنما ينتفع إنذارك للجميع فلا تنافي ولا إشكال فالنبي صلى الله عليه وسلم ينذر الجميع على السواء، وقيل عبر يتنذر بالماضي للدلالة على تحقيق الإتباع والخشية [٢] وفي قوله " فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ " سر تنكير مغفرة وأجر أي مغفرة واسعة تستر من جميع الجوانب حتى لا يرى عليه أثر من آثار النفس ويظهر عليه أنوار الروح الزكية وكذا أجر أي أجر عظيم فالتنكير فيه للتعظيم وسر وصف الأجر بالكرم لأنه الأفضل في نوعه كما قال تعالى " إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ " [٣].

وبين " تنذر " و " بشر " طباق وهو محسن بديعي فأول أمرهم الإنذار والعاقبة التبشير، والتعبير بوصف " الرحمن " دون اسم الجلالة لوجهين أولاً أن المشركين كانوا ينكرون اسم " الرحمن " كما قال تعلى " قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ " [٤].

ثانياً: الإشارة إلي أن رحمته لا تقضي عدم خشيته فالمؤمن يخشى الله

---

(١) الفخر الرازي ٤٧/١٣.

(٢) التحرير والتنوير ٣٥٢/٢٢.

(٣) التحرير والتنوير ٣٥٤/٢٢. سورة النمل آية " ٢٩ ".

(٤) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار القسم الثاني ص٥٧٤ بتحقيق د/ عدنان زرزور – دار التراث.

مع علمه برحمته فهو يرجو الرحمة [١].

قال تعالى " إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ " [٢].

أي نبعثهم من قبورهم بعد موتهم لحساب والجزاء ونكتب ما قدموا أي في الدنيا من خير وشر ومن صالح الأعمال وسيئها " وَآثَارَهُمْ " أي آثار خطاهم إلي المساجد [٣].

" وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ... الخ" أي كل شيء من الأشياء أو أمر من الأمور جمعناه في كتاب مسطور وهو صحائف الأعمال وقيل اللوح المحفوظ [٤].

التحليل البلاغي:

لقد اشتملت هذه الآية على استعارتين ضمنيتين أولاً استعارة الموتى للمشركين، وثانياً استعارة الأحياء للإنقاذ من الشرك والقرينة هي الانتقال عن كلام إلي كلام لما يومئ إليه الانتقال من سبق الحضور في المخيلة فيشمل المتكلم والكلام. وجملة " إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى " استئنافاً ابتدائياً – كما يجوز أن يكون الأحياء مستعارً للإنقاذ من الشرك والموتى استعارة لأهل الشرك كما قال تعالى " أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ " فتكون الجملة امتناناً على المؤمنين بتيسير الإيمان لهم [٥].

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٢/٣٥٤.

(٢) يس آية " ١٢ ".

(٣) الطبري ٢٢/٩٩.

(٤) فتح القدير ٤/٣٦٢.

(٥) التحرير والتنوير ٢٢/٣٥٤، ٣٥٥.

والمراد بكتابة ما قدموا كناية عن الوعد والثواب على أعمالهم الصالحة والثواب على آثارهم.

وجيء بضمير الفصل " نحن " قيل للتقوية وهو زيادة التأكيد والمعنى نحييهم للجزاء، فلذلك عطف " ونكتب ما قدموا " والعطف للإدماج بالإنذار والتهديد " وكل شيء أحصيناه " قيل: أن يكون بياناً لكون ما قدموا وآثارهم أمراً مكتوباً لا يبدل الثاني أن يكون مؤكداً لمعنى قوله " ونكتب " ثالثاً: أن يكون ذلك تعمياً بعد التخصيص وذلك كقوله تعالى " وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ. وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ " (١).

وقال سبحانه أحصيناه ولم يقل كتبناه لأن الإحصاء أبلغ من الكتابة لأن من كتب شيء مفرقاً يحتاج إلي جمع عدده، وسمى الكتاب إماماً لأن الملائكة يتبعون وقيل هو اللوح المحفوظ (٢).

" وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ " تذييلاً مفيداً.

قال تعالى " وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ القَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا المُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ. قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ. قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ". أجمعت جميع التفاسير أن الله سبحانه أرسل إلي أهل أنطاكية ثلاثة رسل " صادق، مصدوق، شمعون " وأمر سبحانه بإنذار المشركين أن يحل بهم ما حل بكفار أهل القرية المبعوث إليهم ثلاث رسل من الله تعالى وقيل هم رسل عيسى عليه

---

(١) الفخر الرازي المجلد ٤٩/١٣، ٥٠.

(٢) الفخر ارازي المجلد ٥٠/١٣.

السلام [١].

فوضح سبحانه وتعالى أنه أرسل إليهم اثنين فكذبوهما "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" " فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ " أي نحن رسل الله مرسلون لهدايتكم " قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا " لأنهم يعتقدون أن الرسول لا يكون بشراً أي ليس لكم فضل علينا، " وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ " أي لم ينزل شيء من الوحي أو الرسالة " إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ " أي تكذبون في دعوى الرسالة فأجابهم الرسل " قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ " " وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ البَلاغُ المُبِينُ " أي وليس علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله بلاغً واضحاً لا شك فيه فإن آمنتم فلكم الهناءة وإن كذبتم فلكم العذاب والشقاوة.

التحليل البلاغي:

" وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً.... الخ " خطاب النبي صلى الله عليه وسلم المراد به الأمر في أن يضرب لقومه مثلاً بأصحاب القرية، وأصل الضرب مجاز مشهور في معنى الوضع والجعل مثل قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا... الخ " [٢].

" لهم " يجوز أن يتعلق بـ " اضرب " أي اضرب مثلاً لأجلهم ويجوز أن يكون: لهم " صفة لـ " مثل " أي أضرب شبيهاً لهم [٣] وضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بأخرى مثلها مثل قوله تعالى " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ " وأخرى في ذكر حالة غريبة

---

(١) القرطبي ٣/١٥، ١٦.

(٢) سورة البقرة آية " ٢٦ ".

(٣) التحرير والتنوير ٢٢/٣٥٨.

وبـيانها للـناس من غير قصد غلي تطبيقها كما في قوله " وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ " أي بينا لكم الأحوال [١].

و " أَصْحَابَ القَرْيَةِ " بتقدير مضاف أي مثل أصحاب القرية وهو بدل من " مـثلاً " بـدل كل من كل أو عطف بيان له على القول بجواز اختلافهما تعـريفاً وتنكـيراً ويجوز أن يكون المقدر مفعولاً وهذا حالاً " إِذْ جَاءَهَا المُرْسَـلُونَ " بدل اشتمال من أصحاب القرية أو ظرف للمقدر ويجوز أن يكـن بـدل كـل من أصحاب القرية [٢] " إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ " وذلك لتكميل التمثيل وتتميم التسلية [٣].

وفيما سبق عدة مباحث بلاغية لهما قيمتها في الإعجاز البلاغي القرآني فقـد ذكـر سبحانه التأكيد بأكثر من مؤكد مثل " إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ " [٤] وهو من أضرب الخبر من الضرب الإنكاري فكلما ذاد في الإنكار زيد له فـي التأكـيد، وكـذا فـي قوله " اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ " اطناب على طريق الـتكرار، وفـي قولـه " وَمَـا عَلَيْنَا إِلاَّ البَلاغُ المُبِينُ " قيل وعيد لهم، ووصـف الـبلاغ بالإبانة على طريق التوكيد والتحقيق [٥] " وفي البلاغ المبيـن" قـيل تسلية لأنفسهم أي نحن خرجنا على عهدة ما علينا وحثاً لهـم علـى النظر [٦] ويل لبلاغ اسم مصدر من أبلغ و " المبين " وصف

---

(١) روح المعاني ٢٢/٢٢٠.

(٢) روح المعاني ٢٢/٢٢٠.

(٣) روح المعاني ٢٢/٢٢٠.

(٤) ينظر في ذلك مواهبه الفتاح ضمن شروح التلخيص ١/٢٠٦.

(٥) الكشاف ٣/٣١٨.

(٦) الفخر الرازي المجلد ١٣/٥٣.

للبلاغ أي البلاغ الواضح الذي لا إبهام فيه ولا مواربة [١] وقيل " المبين " أولاً هو البلاغ المبين للحق على الباطل والثاني: البلاغ المظهر لما أرسلنا للكل أي لا يكفي أن نبلغ الرسالة إلي شخص أو شخصين.

ثالثاً: البلاغ المظهر للحق بكل ما يمكن [٢].

قال تعالى " قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ " [٣].

أي قال لهم أهل القرية إنا تشاءمنا بكم وبدعوتكم لنا للإيمان وترك عبادة الأصنام ولقد وضح ذلك المفسرون فقالوا: وجه تشاؤمهم بالرسل أنم دعوهم إلي دين غير ما يدينون به فاستغربوه استقبحوه ونفرت عنه طبيعتهم الغير معتدلة فكأنهم قالوا أعاذنا الله مم تدعوننا إليه [٤] ثم توعدوا الرسل بقولهم " لئن لم تنتهوا " أي والله لئن لم تنتهوا فحذف القسم " لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ " أي لنرجمنكم بالحجارة حتى تموتوا أو نقتلنكم شر قتلة " قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ.... الخ " أي شؤمكم يسؤكم أنتم، " بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ " ليس الأمر كما زعمتم بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في شؤمكم يسؤكم أنتم. " بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ " أي ليس الأمر كما زعمتم بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في الجحود بآيات الله ورسله، والتصريح بالعصيان والعياذ بالله.

التحليل البلاغي:

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/٣٦٢.

(٢) التفسير الرازي مجلد ١٣/٥٣ وينظر التسهيل في علوم التنزيل ٢/٠.

(٣) سورة يس آيات ١٨ – ١٩

(٤) حاشية زاده على البيضاوي ٣/١٢٥.

فـي قولـه " لنرجمـنكم " يحتمل وجهين أحدهما: لنشتمنكم من الرجيم بـالقول وعلـى هـذا فقوله: " وليمسنكم " ترقي كأنهم قالوا ولا يكتفي بالشتم بل يؤدي ذلك إلي الضرب والإيلام الحسي. ثانياً: أن يكون المراد الرجيم بالحجارة فتكون " وليمسنكم " بيان للرجم، وقوله " الأليم" بمعنى المؤلـم والفعيل بمعنى مفعل، ويحتمل أن يقال هو من باب قوله "عيشة راضية " أي ذات رضا ويكون فعيلاً بمعنى فاعل وهو كثير [١].

" قَـالُوا طَائِـرُكُم مَّعَكُـمْ " أي رزقكم وعملكم وهو شرط جوابه محذوف لدلالـة السـياق عليه أي أئن ذكرتم فطائركم معكم لدلالة ما تقدم عليه حيث أنه منوي به التكرير [٢].

والاستفهام في أئن انكاري بمعنىَ النفي أي لا تتشاءموا من وعظنا إياكم وجملة الشرط والجواب مستأنفة.

" بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ " فيه توبيخ وزجر لهم وتقريع لإسرافهم في حق أنفسـهم بجحودهـم بآيـات اللـه تعالى ورسله وإصرارهم على العناد والاستكبار الذي عاقبته وخيمة عليهم.

قـال تعـالى: " وَجَـاءَ مِـنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ. وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِـي وَإِلَيهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِـن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ. إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ. إِنِّي آمَنتُ

---

(١) الفخر الرازي المجلد ١٣/٥٣.

(٢) الطبري المجلد ١٠/١٠٢.

بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ " (١).

وعلى طريق القرآن الكريم في استخدام القصص للعظة والعبرة ذكر القرآن الكريم موقف الداعية المؤمن " حبيب بن موسى النجار " الذي نصح قومه فقتلوه فأدخله الله الجنة ولم يمهل المجرمين بل أخذهم بالصيحة التي قضت عليهم نتيجة لتكذيبهم وظلمهم (٢).

التحليل البلاغي:

الآيات السابقة متعلقة بما قبلها من وجهين أحدهما: أنه بيان لكونهم أتوا بالبلاغ المبين وعلى هذا فقوله " من أقصى المدينة " فيه بلاغة باهرة حيث آمن فقد دل على إنذارهم وإظهارهم بلغ إلي أقصى المدينة.

ثانياً: أن ضرب المثل تسلية للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولأصحابه كما أن ذكر المرسلين تسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومن أقصى المدينة أي أن التبليغ وصل إلي أقصى المدينة، وفي كلمة " رجل -" تنكير المراد به التعظيم وكذا بيان كونه مفيداً لظهور الحق وقيل أن التنكير هنا لإرادة الوحدة أي رجل واحد (٣). وقدم من أقصى المدينة على رجل للإهتمام بالثناء على أقصى المدينة.

وسر التعبير بيسعى هو تبصرة للمؤمنين وهداية لهم، وسر الإضافة في " يا قوم " أولاً: ينبئ عن اشفاق عليهم ولا يريد بهم إلا خيراً الثاني جمع بين إظهار النصحية وإظهار إيمانه فقوله " اتبعوا " نصيحة وقوله

---

(١) سورة يس آيات "٢٠: ٢٥ ".

(٢) القرطبي ١٨/١٥ ابن كثير ١٥٩/٣.

(٣) الاتقان في علوم القرآن-السيوطي- ٢٩٦/١ ط ثالثة ١٩٨٥م دار التراث.

" المرسلين " إظهار انه آمن. ثالثاً: قدم إظهار النصيحة على إظهار الإيمان لأنه كان ساعياً في النصح، وفي قوله " رجل يسعى " يدل على كونه مريداً للنصح [١] " يا قوم " النداء أتى هنا للتنبيه ولفت النظر وجذب الانتباه حتى يصفى إليه قومه وجملة يا قوم بدل اشتمال من جملة " جاء رجل " [٢]. " وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " هنا تلطف من الرجل في الإرشاد والنصيحة فكأنه ينصح نفسه أولاً ثم يدعوهم ثانياً فيختار لهم ما يختاره لنفسه كما أن في الأسلوب نوع تقريع على ترك عبادة الله سبحانه وكذا تهديد بتخويفهم بالرجوع إلي شديد العقاب [٣] وهذه من صور الالتفات من التكلم للخطاب وذلك للمبالغة في التهديد [٤].

وفي قوله:" اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ " تعبير في غاية الحسن وفي قوله " اتبعوا " معنى الامتثال واستعير له الاتباع تشبيهاً للآخذ برأي غيره بالمتبع له في سيرة، والتعريف في المرسلين للعهد وجملة " اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ " مؤكد لجملة " اتبعوا المرسلين " مع زيادة الإيماء إلي علة اتباعهم بلوائح علامات الصدق والنصح على رسالتهم إذ هم يدعون إلي هدى ولا نفع ينجر لهم من ذلك فتمحضت دعوتهم لقصد هداية المرسل إليهم – وهذه كلمة حكمة جامعة [٥].

---

(١) الرازي ٢٢/٥٤، ٥٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/٣٦٦.

(٣) ابن كثير ٦/٥٥٦.

(٤) المطول ١٣٢ وحاشية الدسوقي ١/٤٦٨.

(٥) التحرير والتنوير ٢٢/٣٦٧.

وقـدم فـي الصلة عدم سؤال الأجر على الاهتداء لأن القوم كانوا في شك من صدق المرسلين فكانت جملة "لا يسألكم أجراً" أهم في صلة الموصول [١].

"وهم مهتدون" جاءت في موقعها حسنة جميلة للترغيب في الهداية.

وجملـة " اتبعوا من لا... الخ " من الأطناب المسمى إيغال وهو أن يؤتى بعـد تمـام لمعـنى المقصود بكلام آخر يتم المعنى بدونه لتكلفة بلاغية وأميل إلي كلام صاحب التحرير والتنوير في قوله تعالى " وهم مهتدون" لـم يكـن مجرد زيادة بل كان لتوقف الموعظة عليها وكان قوله" من لا يسـألكم علـيه أجـراً " كالتوطـئة له. وفـي قوله " وما لا أعبد الذي فطرنـي... الخ " ومالي بفتح الياء وقرأت بسكون الياء و" مالي " قيل هي تقرير لهم على جهة التوبيخ في هذا الأمر الذي يشهد العقل بصحته أن مـن فطر واخترع وأخرج من العدم إلي الوجود فهو الذي يستحق أن يعبد [٢] وقيل " ومالي لا أعبد " خبر مستعمل في العريض بهم كأنه قال: ومالـي لا أعـبد ومـالكم لا تعـبدون الذي فطركم بقرينة قوله " وإليه ترجعون" إذ جعل الإسناد إلي ضميرهم تقوية لمعنى التعرض وإنما ابتدأه بإسـناد الخبر إلي نفسه لإبرازه في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصـحتهم ليـتلطف بهم ولا يثير غضبهم [٣] " وإليه ترجعون إشارة إلـي الخوف والرجاء كما قال تعالى " ادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً " " أَأَتَّخِذُ مِـن دُونِـهِ آلِهَةً " استفهام توبيخي المراد منه أي كيف أتخذ آلهة ؟ لا تسمع ولا تـنفع ولا تغنـي مـن الله شيئاً ! فهنا استعراض للمنهج المخالف

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/٣٦٧.

(٢) المحرر الوجيز ١٣/١٩٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢٢/٣٦٨.

للمـــنهج الفطري المستقيم.، وفي قوله تعالى " أَأَتَّخِذُ مِـــن دُونِهِ آلِهَةً " إشـــارة إلي نفي غيره فيتحقق معنى لا إله إلا اله وفيه عدة لطائف كما ذكـــر الـــرازي أولاً: ذكر على طريقة الاستفهام فيه معنى وضوح الأمر. ثانـــياً: قوله من دونه لما بين انه يعبد الله بقوله " الذي فطرني " بين أن من دونه لا تجوز عبادته. ثالثاً: قوله " أَأَتَّخِذُ " إشارة إلي أن غيره ليس بإله لأن المتخذ لا يكون إله ولهذا قال تعالى " مَا اتَخَّذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً " [١] وقال " الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَد " [٢] لأنه لم يكن له ولد ولا يجوز [٣].

وفـــي قوله تعالى " إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ " لم يقل إن يرد الرحمن بي ضراً وكذا بين قوله تعالى " إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ " [٤] ولـــم يقـــل إن أراد الله بي ضراً. يقول الرازي الفعل إذا كان متعدياً إلـــي مفعـــول واحد تعدى إلي مفعولين بحرف كاللازم يتعدى بحرف في قولهـــم ذهـــب بـــه، وخرج به، ثم إن المتكلم البليغ يجعل المفعول بغير حـــرف مـــا هو أولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الآخر مفعولاً بحرف فإذا قال القائل كيف حال فلان: يقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فإذا قال كـــيف كـــرامة الملك؟ يقول اختصها بزيد فيجعل المسئول مفعولاً لا بغير حرف لأنه هو المقصود. إذن المقصود هنا بيان كون العبد تحت تصرف الله يقلـــبه كـــيف يشـــاء في البؤس والرخاء كيف والقائل مؤمن يرجوا

---

(١) سورة الجن آية " ٣ "

(٢) سورة الإسراء آية " ١١١ ".

(٣) الفخر الرازي ٥٨/١٣.

(٤) الزمر آية " ٣٨ ".

رحمـــة الله، فجعل نفسه مفعول الفطرة فكذلك جعلها مفعول الإرادة وذكر الضر وقع تبعاً وكذا في قوله تعالى " إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ " المراد بيان أن يكون كما يريد الله وليس الضر بخصوصة مقصوداً بالذكر ويؤيده ما تقدم حيث قال تعالى " أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ " يعنى هو تحت إرادته (١).

ثانـــياً: قـــال هنا " إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ " وفي الزمر " إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ " (٢) الحكمـــة في اختيار صيغة الماضي وصيغة المضارع ههنا وذكر المريد باســـم الرحمـــن وذكـــر المريد باسم الله هناك يقول الرازي أما الماضي والمستقبل فإن إن في الشرط تصير الماضي مستقبلاً وذلك لأن المذكور ههـــنا من قبل بصيغة الاستقبال في قول " أأتخذ " وقوله " ومالي لا أعبد " والمذكـــور هناك من قبل بصيغة الاستقبال وهو قوله " من يصرف عنه " وقولـــه " إِنِّـــيَ أَخَـــافُ إِنْ عَصَيْتُ " والحكمة فيه هو أن الكفار كانوا يخوفـــون النبي صلى الله عليه وسلم بضر يصيبه من آلهتهم فكأنه قال صـــدر مـــنكم التخويف، وهذا ما سبق منكم وههنا ابتداء كلام صدر من المؤمن للتقرير فافترق الأمران.

وأما قوله " إن أرادني الله " فإن الاسمين المختصين بواجب الوجود الله والرحمـــن كما قال تعالى " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ " والله للهيبة والعظمـــة والرحمـــن للرأفة والرحمة، ففي كل الآيات الكريمات السابقة توضـــيح وبيان أن الله تعالى معبود من كل وجه، وأن غيره لا يصلح أن يعبد بوجه من الوجوه (٣).

---

(١) ينظر في ذلك الرازي ٥٨/١٣.

(٢) الزمر آية " ٣٨ ".

(٣) نفذ الرازي ٥٩/١٣.

" إِنِّـــي إِذاً لَّفِـــي ضَلالٍ مُّبِينٍ " أي لو فعلت ذلك لكنت في ضلال واضح، والتنوين في إذا عوض عن جملة على طريق القرآن الكريم في الإيجاز، والتعبـــير بـــ " فـــي " فيه دقة وبلاغة حيث أفادت تمكنه من الضلال وانغماســـه فـــيه كتمكـــن المظروف من ظرفه بوصفة فيه، فما أبلغ وما أوجـــز هـــذا التعبير الجميل ومن أصدق من الله قيلا [١]" إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْـــمَعُونِ " وضـــح هنا أنه آمن بالله وأراد من القوم أن يسمعوا قوله ويعملوا بنصحه وبدلاً من العمل بنصيحته وثبوا عليه وثبة واحدة فقتلوه كمـــا هي عادتهم من إيذاء وإنكار وجحود. وهي واقعة موقع الغاية من الخطـــاب والنتـــيجة من الدليل وأكد الإعلان تفريع "فاسمعون" استدعاء لتحقـــيق أســـماعهم إن كـــانوا في غفلة [٢]، وقيل فاسمعون على جهة المبالغة والتنبيه، وقيل خاطب بها الرسل على جهة الاستشهاد بهم [٣].

وذكـــر الرازي في " فاسمعون" أن المتكلم إذا كان يعلم أن كلامه جماعة سامعين يتفكر ثانياً: أنه تنبيه للقوم. ثالثاً: أن يراد السماع بمعنى القبول [٤].

قـــال تعالى " قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ... الخ " استئناف بيانـــي لمـــا ينـــتظره ســـامع القصة من معرفة مالقيه من قومه بعد أن خاطـــبهم بذلـــك الخطاب الجزل، وفي قوله السابق كناية عن قتله شهيداً فـــي إعـــلاء كلمة الله وإن هذا الرجل المؤمن قد أدخل الجنة عقب موته

---

(١) مجلة الأزهر ١٠٩٨/٨هـ ١٣٤٩هـ.

(٢) التحرير والتنوير ٣٦٨/٢٢.

(٣) المحرر الوجيز ١٩٦/١٣.

(٤) الرازي ٦٠/١٣.

لأنـــه مـــن الشهداء ففي الحديث " إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تأكل من ثمار الجنة " (١).

في قوله قيل أدخل الجنة " بإسناد القول إلي غير مذكور لأن العذاب من باب الهيبة فقال بلفظ التعظيم، وقد أضاف القوم إليه مع أن الرسل أولى بكـــون الجمـــع قومـــاً لهـــم فإن الواحد يكون له قوم هم آله وأصحابه والرســـول لكونـــه مرسلاً يكون جميع الخلق قوماً له ؟ ليبين الفرق بين اثنيـــن أكـــرم أحدهما غاية الإكرام وأهين الآخر بسبب الكفر وأن العذاب كـــان مختصاً بأقارب ذلك لأن قوم الرسل آمنوا بهم (٢). وفي قوله " قيل أدخـــل الجـــنة " فـــيها حذف دل عليه السياق أي قبل له ذلك تكريماً له بدخولها بعد قتله (٣).

" يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ " جملة مستأنفه استئنافاً بيانياً.

" وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ... " الخ هذا تحقير لقومه وتصـــغير لشـــأنهم أي لم نحتج في إهلاكهم إلي إرسال جنود من السماء بعد قـــتلهم له وفـــي قوله تعالى "مِّنَ السَّمَاءِ" فقد قيد سبحانه الإنزال من السماء وســـبحانه لـــم يـــنزل عليهم ولا أرسل إليهم جنداً من الأرض وهنا قيد الكلام الفـــائدة أن يكون المراد وما أنزلنا عليهم جنداً بأمر من السماء فيكون الكلام للعمـــوم الثانـــي أن العذاب نزل عليهم من السماء وكان ذلك بصيحة أخمدت

---

(١) التحرير والتنوير ٣٧٠/٢٢ وينظر وأخرجه الهيثمى عن مجمع الزوائد ٢٩٨/٥ مكتـــبة القـــدس عن عبد الله بن مسعود قال " أرواح الشهد أحواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شأت قال أخرجه الطبراني...

(٢) الرازي ٦١/١٣.

(٣) تجريد البيان ٣٠٦/٢.

نارهم وخربت ديارهم [١].

قال تعالى: " إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً..الخ " تأكيد لكون الأمر هنياً عند الله تعالى[٢]" فَإِذَا هُمْ خَامِدُون"فيه إشارة إلي سرعة الهلاك فإن خمودهم كان مع الصيحة لم يتأخر، ووصفهم بالخمود في غاية الحسن [٣].

وقيل وفي ذلك إستحقار لهم ولإهلاكهم وإيماء إلي تفخيم شأن النبي- صلى الله عليه وسلم " وإذا " قيل أنه فجائية وفيها إشارة إلي سرعة هلاكهم بحيث كان مع الصيحة وقد شبهوا بالنار على سبيل الاستعارة المكنية والخمود تخيل وفي ذلك رمز إلي أن الحي كشعلة النار والميت كالرماد كما قال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحود رماداً بعد إذ هو ساطع

ويجوز أن تكون الاستعارة تصريحية تبعية في في الخمود بمعنى البرودة والسكون لأن الروح لفزعها عند الصيحة تندفع إلي الباطن دفعة واحد ثم تنحصر فتنطفئ الحرارة الغريزية لإنحصارها. وقد عدل عن هامدون إلي خامدون. حيث فيه رمز إلي البعث بعد الموت [٤].

وفيما سبق جميعه نجد مراعاة للفواصل القرآنية بما فيه من حسن البيان وروعة الكلام وهذه خاصية من خصائص القرآن الكريم لما فيه من حسن الوقع على السمع وجمال الأسلوب، ونجد أيضاً الإيجاز وقد

---

(١) الرزي ٦٢/١٣.

(٢) الرازي ٦٢/١٣.

(٣) الرازي ٦٢/١٣.

(٤) روح المعاني للألوسي ٢/٢٣.

أتى به في موقعة، كما أن القصص القرآني قد أدى دوره المنوط منه في مجال لفظة والعبرة.

قال تعالى: " يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ. أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ القُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ. وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ " (١).

أي يا أسفاً على هؤلاء المكذبين لرسل اله المنكرين لآياته ويا حسرة عليهم ما جاءهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون فهكذا عادة المشركين في كل زمان ومكان (٢).

وفي قوله تعالى " أَلَمْ يَرَوْا... الخ " أي ألم يتعظ هؤلاء المشركون بمن أهلكه الله من قبلهم من المكذبين للرسل " وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ " أي وأن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب والجزاء يوم القيامة بين يدي رب العالمين فيجازي كل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

التحليل البلاغي:

"يَا حَسْرَةً" التنكير في حسرة للتكثير، يا حسرة قائلها هو الله سبحانه على سبيل الاستعارة تعظيماً للأمر وتهويلاً له، أو أنه سبحانه يخبر عن وقوع وليس متحسراً فيخربه على حقيقة إلا في النداء فإن النداء مجاز والمراد الاخبار (٣) أو أن يكون تعريض بكفار قريش لتكذيبهم سيد

---

(١) سورة يس من آية رقم " ٣٠: ٣٢ ".

(٢) البيضاوي ١٢٨/٣ الحاشية، ابن كثير ١٦١/٣، البحر المحيط ٣٣٥/٧.

(٣) الرازي ٦٣/٢٥.

المرسلين [١] وفي قوله سبحانه " يَا حَسْرَةً " للحرص على البيان وتقرير المعنى في النفس [٢].

" مَـا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ " بيان لوجه التحسر عليهم لمَّا عُمم على جميع العـباد حدث إيهام في وجة العموم، فعلم وجه الحسرة عليهم إجمالاً ثم فصل في هذه الآية [٣].

والاسـتثناء في قوله " إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ " مفرغ من أحوال عامة مـن الضـمير في يأتيهم، وقدم الجار والمجرور في قوله " به " على " يسـتهزءون " للاهتمام بالرسول صلى الله عليه وسلم المشعر باستفظاع الاستهزاء به مع تأتي الفاصلة بهذا التقديم [٤].

وفي قوله تعالى " أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ " بدل في المعنى عن قوله " كَمْ أَهْلَكْنَا "وقـيل فـيه معـنى ألم يروا المهلكين الكثيرين انهم إليهم لا يرجعون وحينئذ يكـون كـبدل الاشـتمال لأن قولـه " أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ " حال من أحوال المهلكيـن أي هلكـوا بحيـث لا رجـوع لهم إليهم [٥]. وفي قوله " ألم يرو" الاسـتفهام انكـاري ويجوز أن يكون استفهام تقريري والرؤية علمية وليست بصرية لأن إهلاك القرون لم يكن مشهوداً لأمة جاءت بعد أمة أهلكت قبلها [٦] وفعـل الرؤية معلق على العمل.وتقديم إليهم على " يرجعون" أي على متعلقة لرعاية الفاصلة.

---

(١) القرطبي ١٧/٨، الكشاف ٣٢٠/٣، ٣٢١.

(٢) التحرير والتنوير ٨/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير ٩/٢٣.

(٤) التحرير والتنوير ٩/٢٣.

(٥) ينظر في ذلك الفخر الرازي ٦٤/٢٦.

(٦) التحرير والتنوير ١٠/٢٣.

" وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُون "سر العطف بالواو واقع موقع الاحتراس من نوهم المخاطبين بالقرآن أن قوله"أنهم إليهم لا يرجعون" مؤيد اعتقادهم انتفاء البعث.فهنا جاءت من عطف الحكاية على الحكاية [١].

" وإن " قيل أنها مخففة من الثقيلة واللام في لما فارقة بينها وبين النافية وما زائدة مؤكدة في المعنى والقراءة حينئذ بالتخفيف وقيل أنها نافية ولما بمعنى إلا وحينئذ القراءة بالتشديد، قيل أن " إن " ذكرت لتأكيد النسبة فإن قيل ما فائدة ذكر جميع بعد " كل " مع أن الظاهر أنهن بمعنى واحد نقول أنهما يختلفان في المعنى فلفظ كل يفيد الإحاطة والشمول، وجميع يفيد اجتماعهما في مكان واحد وهو المحشر وزمان واحد وهو النفخة الثانية فالمعنيان مختلفان [٢].

قال تعالى: " وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَباً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُونِ. لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ. سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ. وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ " [٣].

الآيات التي بين أيدينا مناسبة لما قبلها من وجهين أولاً: أنه لما قال "وإن كل لما جميع" كان ذلك إشارة إلي الحشر فذكر ما يدل على إمكانه قطعاً لإنكارهم واستبعادهم واصرارهم وعنادهم فقال" وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا " كذلك نحى الموتى. والثاني: أنه لما ذكر الحال المرسلين وإهلاك

---

(١) ينظر الفخر الرازي ٦٥/٢٦، والتحرير والتنوير ١١/٢٣.

(٢) الكشاف ٣٢١/٣.

(٣) يس من الآية " ٣٣: ٣٧ ".

المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدأ بالأرض لكونها مكانهم لا مفارقة لهم منها عند الحركة والسكون[١].

لما ذكر سبحانه فضل أهل القرية وإهلاك الله لهم بالصيحة بسبب تكذيبهم المرسلين ذكر هنا الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى وقدرته على إخراج الزروع والثمار وتعاقب الليل والنهار، والشمس والقمر، فالأرض الميتة التي لا زرع فيها ولا نبات أحياها سبحانه بالأمطار فأخرج منها سبحانه الحب الذي به يتعذبون وجعل سبحانه فيها بساتين ناضرة ونخيل وعنب وينابيع من الماء العذب والأنهار في بلدان كثيرة وذلك ليأكلوا من ثمرات ما ذكر من الخيرات وكل ذلك برحمة الله تعالى [٢].

" سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا... الخ " ومن علامات قدرة الله تعالى خلق الأزواج كلها وغيره لم يخلق شيئاً، وكذا من علامات قدرته سبحانه الليل والنهار وفي الآية رمز إلي أن الأصل هو الظلام والنور عارض فإذا غربت الشمس ينسلخ النهار من الليل ويكشف ويزول فيظهر الأصل وهو الظلمة وعلامة أخرى الشمس تسير بقدرة الله في الفلك وينقطع جريانها عند خراب العالم " ذلك تقدير العزيز العليم " العزيز في ملكه العليم بخلقه [٣] وللعلماء آراء حول دوران الشمس [٤] قال تعالى " وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لاَ الشَّمْسُ

---

(١) الرازي ٦٥/٢٦.

(٢) القرطبي ٢٥/٥، ابن كثير ١٦٣/٣.

(٣) في ظلال القرآن – سيد قطب – ٢٦٨/٥، ٢٦٩ والرازي ٦٨/٢٦.

(٤) في ظلال القرآن – سيد قطب – ٢٦٨/٥.

يَنْبَغِـي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ " [١] أي والقمـر قدرنا مسيرة في منازل يسير فيها لمعرفة الشهور وهي ثمانـية وعشـرون منزلاً في ثمانية وعشرون ليلة ينزل في كل ليلة في واحـد مـنها ولا يـتخطاها ولا يـتعداها. فإذا كان في آخر منازلة رق واستقوس حتى أصبح كالعرجون القديم، وهو غصن النخل اليابس وهو عـنقود الـتمر حتى يجف ويتقوس ولا يمكن للشمس ولا يصح لها أن تجـتمع مـع القمر لأن ذلك يخل بتلوين النبات ومصلحة العباد ولا الليل يسبق النهار حتى يدركه فيذهب بضيائه فنكون الأوقات كلها ليلاً [٢].

قـال الحسن: الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملصقة بشيء ولو كانت ملصقة ما جرت [٣].

والغرض هنا بيان قدرة الله تعالى في تيسير الكون بنظام دقيق فالشمس لها مدار والقمر له مدار وكل كوكب من الكواكب له مدار لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه ولا يطغى أحدهما على الآخر. سبحان الله خالق كل شيء.

التحليل البلاغي:

قـال تعـالى: "وآيـة لهم" آية خبر مقدم والتنكير يفيد التعظيم والتفخيم والـتهويل أي آيـة عظـيمة باهرة، وسر إضافة كون الأرض آية لبيان موقع الآية منها، أو بدل اشتمال من جملة " آية لهم الأرض" أو استئنافاً بيانياً كأن سائلاً سأل كيف كانت الأرض الميتة؟ [٤].

---

(١) يس من الآية " ٣٩ - ٤٠ ".

(٢) القرطبي ٢٦/١٥ وما بعدها.

(٣) القرطبي ٢٦/٥ وما بعدها.

(٤) التحرير والتنوير ١٢/٢٣.

يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ " [١] أي والقمر قدرنا مسيرة في منازل يسير فيها لمعرفة الشهور وهي ثمانية وعشرون منزلاً في ثمانية وعشرون ليلة ينزل في كل ليلة في واحد منها ولا يتخطاها ولا يتعداها. فإذا كان في آخر منازلة رق واستقوس حتى أصبح كالعرجون القديم، وهو غصن النخل اليابس وهو عنقود التمر حتى يجف ويتقوس ولا يمكن للشمس ولا يصح لها أن تجتمع مع القمر لأن ذلك يخل بتلوين النبات ومصلحة العباد ولا الليل يسبق النهار حتى يدركه فيذهب بضيائه فنكون الأوقات كلها ليلاً [٢].

قال الحسن: الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملصقة بشيء ولو كانت ملصقة ما جرت [٣].

والغرض هنا بيان قدرة الله تعالى في تيسير الكون بنظام دقيق فالشمس لها مدار والقمر له مدار وكل كوكب من الكواكب له مدار لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه ولا يطغى أحدهما على الآخر. سبحان الله خالق كل شيء.

التحليل البلاغي:

قال تعالى: "وآية لهم" آية خبر مقدم والتنكير يفيد التعظيم والتفخيم والتهويل أي آية عظيمة باهرة، وسر إضافة كون الأرض آية لبيان موقع الآية منها، أو بدل اشتمال من جملة " آية لهم الأرض" أو استئنافاً بيانياً كأن سائلاً سأل كيف كانت الأرض الميتة؟ [٤].

---

(١) يس من الآية " ٣٩ - ٤٠ ".

(٢) القرطبي ٢٦/١٥ وما بعدها.

(٣) القرطبي ٢٦/٥ وما بعدها.

(٤) التحرير والتنوير ١٢/٢٣.

وقد ذكر سبحانه إخراج النبات والحب بعد ذكر إحياء الأرض قيل أن هذا لـه فـائدة بالنسبة إلي بيان إحياء الموتى، وذلك لأنه لما أحيى الأرض وأخرج منها حباً كان ذلك إحياء تاماً لأن الأرض المخضرة التي لا تنبت الـزرع ولا تخرج الحب دون ما تنبته في الحياة، فكأنه قال تعالى الذي أحـيا الأرض إحـياءً كاملاً منبتاً للزرع يحي الموتى إحياء كاملاً بحيث تـدرك الأمور وأما بالنسبة للتوحيد لأن فيه تعديد للنعم ثم إحياء الأرض بحيـث تخضـر نعمة أخرى. ثم إخراج الحب نعمة ثالثة ثم جعل الجنات فـيها نعمـة رابعـة والأشجار بعد الحب ؛ ثم تفجير العيون، فنجد أن " أَخْرَجْـنَا مِـنْهَا حَباً " إشارة إلي الأمر الضروري، " وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ " كالأمر المحتاج إليه " وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ " إشارة إلي الزينة [١].

وفـي قولـه " الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا " كلام مستأنف مبين لكيفية كون الأرض الميـتة آية، وقدم الجار والمجرور على عاملة " يأكلون " لإفادة ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به سواء الإنسان أو الدابة، وفي قوله " أَحْيَيْـنَاهَا " طباق بين الموت والحياة، وفي قوله " وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِـنْهُ النَّهَارَ " استعارة تصريحية حيث شبه إزالة الضوء وانكشاف ظلمة اللـيل بسـلخ الجلـد عن الشاه، واستعار اسم السلخ للإزالة والإخراج واشـتق منه نسلخ بمعنى نخرج منه النهار بطريق لاستعارة التصريحية وسـميت بذلك لتصريح بالمشبه به، وهو من بليغ الاستعارة وفي السلخ استعارة تحليلية ولاشك أن التعبير بالسلخ أبلغ لأن السلخ إخراج الشيء

---

(١) الفخر الرازي ٢٦/٦٦.

محـــالا بـــه وعسر إخراجه لالتحاقه به [١] وبين " الليل والنهار " طباق بيـــن اســـمين، وفـــي قوله تعالى "أفلا يشكرون " الاستفهام لإنكار لعدم شـــكرهم لأنعـــم الله تعالى، وهنا نجد بدائع قدرته تعالى وأسرار حكمته الموجبة لشكره وإذا حدث عكس ذلك يكون ذلك من العجب !.

وفـــي قوله تعالى عند ذكر الحب " فمنه يأكلون " وفي الأشجار والثمار " ليأكلوا من ثمره " لان الحب قوت لابد منه، والثمار ليست كذلك [٢] وقدم منه على يأكلون للاهتمام ولرعاية الفاصلة وقد خصص النخيل والأعناب بالذكـــر ومن سائر الفواكه، لأن ألذ المطعوم الحلاوة، ولأن التمر والعنب قـــوت وفاكهـــة، ولأنهما أعم نفعاً، فإن قيل قد ذكر الله سبحانه " الرُّمَّانَ والزيـــتون " في سورة الأنعام " أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ " وإلي قوله " فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ " فاستوفى الأنواع بالذكر واختار منها الألذ والأنفع [٣].

ونجـــد الله تعالى في المواضع التي ذكر فيها الفواكه لم يذكر التمر بلفظ شـــجرته وهـــي النخلة ولم يذكر العنب بلفظ شجرته بل ذكره لفظ العنب والأعـــناب، ولـــم يذكر الكرم وذلك لأن العنب شجرته بالنسبة إلي ثمرته حقيرة قليلة الفائدة، والنخل بالنسبة إي ثمرته عظيمة جليلة القدر كثيرة الجدوى [٤].

---

(١) الايضاح في علوم البلاغة –الخطيب القزويني ص١٦٩دار الفكر العربي ١٩٨٣ م وينظر البلاغة التطبيقية ص١٣١،والبيان في ضوء أساليب القرآن ١٧١.

(٢) الفخر الرازي ٦٦/٢٦.

(٣) الفخر الرازي ٦٧/٢٦.

(٤) الفخر الرازي ٦٧/٢٦.

وفي قوله "مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ" قيل هي موصوفة معطوفة على "ثمرة" وضمير "عَمِلَتْهُ" عائد إلي اسم الموصول. ويجوز أن يكون "ما" نافية والضمير عائد إلي ما ذكر من الحب والنخيل والأعناب وقرأ الجمهور "وما عملته" بإثبات هاء الضمير عائداً إلي المذكور من الحب والنخيل والأعناب، وقرأت الجمهور " وَمَا عَمِلَتْ " بدون هاء ويجوز أن يكون من حذف المفعول لإرادة العموم والتقدير: وما عملت أيديهم شيئاً من ذلك. وكل الحذفين شائع. وجيء بالمضارع مبالغة في أنكار كفرهم [١]

وفي قوله تعالى " يَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ "أخر التنبيه على الانتفاع بقوله " ليأكلوا" عن ذكر الثمار حتى قال " وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ "وذكر في الحب " فمنه يأكلون " بعد ذكر الحب،ولم يقل عقيب ذكر النخيل والأعناب ليأكلوا ؟ الحب قوت وهويتم وجوده بمياه الأمطار،ولهذا يرى أكثر البلاد لا يكون بها شيء من الأشجار والزرع والحراثة لا تبطل هناك اعتماداً على ماء السماء وهذا لطف من الله تعالى بحيث جعل ما يحتاج إليه الإنسان أعم وجوداً،والثمار لا تتم إلا بالأنهار فلهذا أخر [٢].

والضمير في قوله " من ثمرة " عائداً إلي الله تعالى " لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ " أخر التنبيه على الانتفاع بقوله " ليأكلوا " عن ذكر الثمار حتى قال " وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ " وذكر في الحب " فمنه يأكلون " بعد ذكر الحب، ولكم يقل عقيب ذكر النخيل والأعناب ليأكلوا ؟ الحب قوت وهويتم وجوده بمياه الأمطار، ولهذا يرى

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/٢٣، ١٥.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/٢٣، ١٥.

أكثر البلاد لا يكون بها شيء من الأشجار والزرع والحراثة لا تبطل هناك اعتماداً على ماء السماء وهذا الطف من الله تعالى بحيث جعل ما يحتاج إليه الإنسان أعم وجوداً، والثمار لا تتم إلا بالأنهار فلهذا أخر [١].

والضمير في قوله " من ثمرة " عائداً إلي الله تعالى أي ليأكلوا من ثمره سبحانه وقيل فيه أن الثمار بعد وجود الأشجار وجريان الأنهار لم توجد إلا بالله تعالى ولولا خلق الله تعالى ذلك لم يوجد، ويحتمل أن يكون المراد أنه راجع إلي ثمر ما ذكرنا وقيل المراد من الثمر الفوائد يقال ثمرة التجارة الربح وثمرة العبادة الثواب وحينئذ يكون الضمير عائداً إلي التفجير المدلول عليه يقول سبحانه " وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُونِ " ليأكلوا من فوائد ذلك التفجير [٢].

وفي قوله سبحانه " سبحان " لإنشاء تنزيه الله تعالى عن أحوال المشركين تنزيهاً عن كل ما لا يليق بألوهيته وأعظمه الاشتراك به وهو المقصود هنا [٣] وإجراء الموصول على الله سبحانه للإيماء إلي التنزيه والتعظيم.

قيل وجيء بضمير جماعة العقلاء في قوله " ومن أنفسهم " تغليباً لنوع الإنسان نظراً لكونه لمقصود بالعبرة وللتخلص إلي تخصيصه بالعبرة في قوله " وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ " [٤].

---

(١) الرازي ٦٧/٢٦، ٦٨.

(٢) الرازي ٦٨/٢٦، ٦٩.

(٣) التحرير والتنوير ١٥/٢٣.

(٤) الرازي ٦٧/٢٦، ٦٨.

وفـــي قوله تعالى " وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ " إشارة إلي أسرارة مودعة في خلق أنـــواع الحيوان وأصنافه وميزت أصنافه ذكورة عن إثانة وأودعت فيه الـــروح الذي امتاز به النبات بتدبير شؤونه على حسب استعداد كل نوع وكـــل صنف حتى يبلغ في الارتقاء إلي اشرف الأنواع وهو نوع الإنسان أي ممـــا لا يعلمـــون تفصيلاً وإن كانوا يشعرون به إجمالاً ومن ذلك قال تعـــالى " وَيَسْـــأَلُونَكَ عَـــنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً " (١).

وفي قوله تعالى:"وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ" (٢).

فالشـــمس تجري بأمر الله تعالى فحين غروب الشمس يسلخ النهار بأمر الله تعالى قيل بذكر السبب يتبين صحة الدعوى ويحتمل أن تكون إشارة إلي نعمة النهار بعد الليل وقوله " المستقر " اللام يحتمل أن تكون للوقت كقوله تعالى " أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ " (٣).

" ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ " والعلم من صفات الله تعالى والعليم والعالم والعلام قـــال تعالى " وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ " وقال سبحانه " عالم الغيب والشهادة " وقال ســـبحانه " علام الغيوب " فالله سبحانه هو العالم بما كان وما يكون قبل كونه، ولا يزال عالماً بما كان وما يكون ولا يخفى عليه شيء بما كان وما يكون قبل أحـــاط علمـــه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها دقيقها وخفيها على أتم الإمكان وعليم فعيل من أبنية المبالغة (٤)

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/٢٣.

(٢) يس آية " ٣٨ ".

(٣) الرازي المجلد ٧١/١٣.

(٤) لسان العرب لابن منظور جـ٣٠٨٣/٤ طبع دار المعارف.

وضـــح أبو السعود الصلة بين مضمون الآية وختمها بقوله " ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيـــزِ العَلِيمِ " ذلك إشارة إلي جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهـــد بالمشـــار إلـــيه للإيذان بعلو رتبته وبُعد منزلته أني ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار في فهمها العقول والأفهام " تَقْدِيرُ العَزِيزِ " الغالب بقدرته على كل مقدور العليم " المحيط علمه بكل معلوم " (١).

فجـــرى الشمس على هذا النمط البديع لا يكون إلا من عزيز غالب قادر علـــى كـــل شيء عالماً بكل شيء. وفي قوله " كَالْعُرْجُونِ القَدِيمِ " تشبيه يحمل وجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء الدقة والصفرة الانحناء قيل أن الحكمـــة فـــي قوله " لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ " بصيغة الفعل، "وَلا اللَّـــيْلُ سَـــابِقُ الـــنَّهَارِ" بصيغة اسم الفاعل أن الحركة الأولية التي للشـــمس، ولا يدرك بها القمر مختصة بالشمس، فجعلها كالصادرة منها وذكر بصيغة الفعل لأن صيغة الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل ؛ والحـــركة الثانـــية ليســـت مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشـــتركة بســـبب حركة فلك ليس ذلك فلكاً لكوكب من الكواكب فالحركة ليست كالصادرة منه فأطلق اسم الفاعل لأنه لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وإن لم يكن خياطاً..(٢) وفي قوله " ولا الليل...الخ " كناية عن ســـبق آياتـــه وقد ذكر أن سر التنوين في قوله تعالى " وكل في..." أن التنويـــن وكـــل عـــوض عـــن الإضافة معناه كل واحد واسقاط التنوين

---

(١) إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم – لأبي السعود – جـــ١٦٨/٧ دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) ينظر الفخر الرازي المجلد ٧٤/١٣.

للإضافة حتى لا يجتمع التعريف والتنكير في شيء واحد، فلما سقط المضاف إليه لفظاً رد التنوين عليه لفظاً، وفي المعنى معرف بالإضافة [١] في الآية السابقة قدم المسند إليه على المسند لتقوية الحكم المنفي ولأنه أكد وكذا سر الجمع في يسبحون مع انه ذكر الشمس والقمر فقط قيل أن الجواب من عدة وجوه:

أولها: أن " كل " للعموم فكأنه أخبر عن كل كوكب في السماء.

ثانيها: يجوز في لفظ كل أن يوحد نظر إلي كونه لفظاً موحداً غير مثنى ولا مجموع ويجوز أن يجمع لأن معناه جمعاً، أما التثنية فلا يدل عليها اللفظ ولا المعنى.

ثالثها: لما ذكر سبحانه " وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ " والمراد من الليل الكواكب قال " يَسْبَحُونَ " [٢] ولقد عبر سبحانه عن الكواكب بلفظ " يَسْبَحُونَ " لذا فهي أحياء ولا يطلق ذلك إلا على العاقل يرى الرازي بأنه إن أردنا القدر الذي به التسبيح يصح لأن " ما من شيء إلا يسبح بحمده " وإن أريد شيء آخر فلا يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى في حق الأصنام " مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ " وقوله تعالى " ألاَ تَنطِقُونَ " [٣].

ونجده سبحان عبر بالإدراك أولاً والسبق ثانياً في قوله تعالى " لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ... الخ" لمناسبة

---

(١) الرازي المجلد ١٣/٧٤.

(٢) الرازي المجلد ١٣/٧٥.

(٣) الرازي المجلد ١٣/٧٥.

حالة الشمس من بطء السير وحال القمر من سرعته [١].

قال تعالى " وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ " [٢] نجد الصلة وثيقة بين هذه الآية وما سبقها لأنه تعالى لما من بإحياء الأرض وهي مكان الحيوانات بين أنه لم يقتصر بل جعل للإنسان طريقاً يتخذ من البحر حيزاً ويسير فيه كما يسير في البر ثم أنه لما بين سباحة الكواكب في الأفلاك وذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ثم وضح سبحانه بأن الأمور التي أنعم بها على عباده منها ضرورية ومنها نافعة. فالأول للحاجة والثاني للزينة فخلق الأرض وإحياؤها من القبيل الأول ولولا إحياء الأرض لما عاش الإنسان والليل والنهار من القبيل الأول أيضاً [٣].

والمراد بالفلك هنا هو السفينة وقيل هي سفينة نوح [٤] وقيل المراد الجنس لقوله تعالى " وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ " وقال " وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ " وقال تعالى " فاركبُوا فِي الْفُلْكِ ".

وقوله تعالى " حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ " بدل " حملناهم " وهو إشارة إلي كمال نعمة الله تعالى وقيل خص الذرية بالذكر لأن الموجودين كانوا كفاراً لا فائدة في وجودهم فقال " حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ " فكان الحمل لما في أصلاً بهم من المؤمنين، وقيل المراد بالذرية الجنس، وقيل أن الضمير في قوله "

---

(١) الكشاف ٣/٣٢٣.

(٢) يس آية " ٤١".

(٣) ينظر الرازي المجلد ١٣/٧٨.

(٤) ينظر الرازي المجلد ١٣/٧٨، والكشاف ٣/٣٢٤، والألوسي ٢٣/٢٦.

وآيَةٌ لَّهُمْ " عائد إلي العباد [١].

ولقد عبر بالفلك تارة بصيغة الجمع وأخرى بالإفراد قال الرازي [وهو أن الكلمة قد تكون حركتها مثل حركة تلك الكلمة في الصورة، والحركتان مختلفتان في المعنى مثالها قولك: سجد يسجد سجوداً للمصدر وهم قوم سجود في جمع ساجد، تظن أنها كلمة واحدة لمعنيين وليس كذلك، بل السجود عند كونه مصدراً حركته أصلية إذا قلنا أن الفعل مشتق من المصدر، وحركة السجود عند كونه للجمع حركة متغيرة من حيث أن الجمع يشتق من الواحد. وينبغي أن يلحق المشتق تغيير في حركة أو حرف أو في مجموعهما.... ثم قال الفلك عند كونه واحداً مثل قفل وبرد وعند كونها جمعاً مثل خشب ومرد وغيرهما...الخ "] [٢].

قال تعالى " وآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ " وقال " وآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ " ولم يقل وآية لهم الفلك جعلناها بحيث تحملهم، وذلك لأن حملهم في الفلك هو العجب، أمات نفس الفلك فليس بعجب [٣].

قال تعالى " وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ " قيل أن الضمير عائداً إلي الفلك ويحتمل أن يكون الضمير عائد إلي معلوم غير مذكور تقديره أن يقال: وخلقنا لهم من مثل ما ذكرنا من المخلوقات في قوله تعالى" خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ " [٤].

---

(١) الرازي مجلد ٧٨/١٣.

(٢) الرازي المجلد ٧٩/١٣، ٨٠.

(٣) الرازي المجلد ٨١/١٣.

(٤) الرازي مجلد ٨١/١٣.

"وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ" قيل هي جملة معترضة في خلال آية البحر اقتضتها مراعاة النظير تذكيراً بنعمة خلق الإبل صالحة للأسفار فحكيت آية الإلهام بصنع الفلك من حيث الحكمة العظيمة في الإلهام وتسخير البحر لها وإيجادها في وقت الحاجة لحفظ النوع، و "من" هنا بيانية بتقديم البيان على المبين أو مؤكدة،وجملة "وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ " عطف على جملة "أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ" بإعتبار دلالتها الكنائية وهذا جرى على عادة القرآن الكريم في تعقيب الترغيب والترهيب وعكسه لكي لا يبطر الناس النعمة ولا ييأسوا من الرحمة (١).

قال تعالى " فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ " ولم يقل "لا منقذ لهم" قيل لأن من يكون من شأنه أن ينصر ويغيث من يكون شأنه أن يغيث فقال لا صريخ لهم، وأما من لا يكون من شأنه أن ينقذ إذ رأى من يعز عليه في ضر يشرع في الإنقاذ، وإن لم يثق بنفسه في الإنقاذ ولا يغلب على ظنه وإنما يبذل المجهود (٢).

وفي قوله تعالى " ولا هم ينقذون " من تقديم المسند إليه على المسند الفعلي وذلك لإفادة تقوى الحكم وهو نفي إنقاذ أحد إياهم والاستثناء في قوله " إلا رحمة " منقطع لأن الرحمة ليست من الصريخ ولا من المنقذ وإنما هي اسعاف الله إياهم (٣).

في الآيات السابقة إيجاز غير مخل وتذكير فيه عظة وعبرة كما هي عادة القرآن الكريم وفي قوله تعالى إسناد " حمل " إلي ضمير العظمة

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٢٨، ٢٩.

(٢) الرازي المجلد ١٣/٨٢.

(٣) التحرير والتنوير ٢٣/٢٩، ٣٠.

" نـا " إيماء تعظيم حمل الفلك وأنه لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وخص ذريتهم بالذكر لأنه ابلغ في الامتنان عليهم وفيه إشارة إلي حمل أعقابهم إلي يوم القيامة (١).

قال تعالى"وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ. وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ.مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُم وَهُمْ يَخِصِّمُونَ. فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ. إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ.فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (٢).

بيـن سبحانه وتعالى في هذه الآيات شبهات المشركين حول البعث ورد علـيهم سبحانه بالبراهين الساطعة والأدلة الواضحة التي لا يشوبها شك فقـال تعالى " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ... الخ " أخبر سبحانه عن الحق، وأعراضهم عـن الإيمـان مـع كثرة الدلائل الواضحة، والمعنى إذا قيل للمشركين احـذورا غضـب الله تعـالى اتعظـوا بما حل بأمم السابقين من العذاب والدمار والهلاك بسبب العصيان والتكذيب للرسل واحذروا عذاب الآخرة لكـي ترحموا. أعرضوا فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة لقوله " لعلكم تـرحمون " وجواب قوله " وإذا قيل لهم اتقوا " محذوف وحذف لدلالة ما

---

(١) الخازن ٦/١٠، والتسهيل في علوم التنزيل ٣/١٦٤.

(٢) سورة يس من الآية " ٤٥: ٥٤ ".

بعده عليه وهو قوله " وما تأتينهم من آية.... الخ" [١].

وقوله تعالى " وما تأتيهم... الخ" أي وما يأتي هؤلاء المشركين علامة من العلامات الواضحة الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم - كالمعجزات العظيمة التي أيده الله بها إلا أعرضوا عنها على وجه التكذيب [٢].

قال تعالى " وإذا قيل لهم أنفقوا... الخ " وكانوا على ما هم عليه من الكرم يشحون على فقراء المسلمين فإذا قيل لهؤلاء الكفار بطريق النصيحة أنفقوا مما أعطاكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا " أنطعم من لو يشاء الله أطعمه " أي قال الكفار للمؤمنين تهكماً بهم أننفق أموالنا على هؤلاء المساكين " إن أنتم إلا في ضلال مبين " أي ما أنت أيها المؤمنون إلا في ضلال مبين واضح، ونحن نعلم جميعاً بأن خزائن الأرزاق بيد الله تعالى وأنه أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء لينظر سبحانه كيف كان حد الفقير ؟ فالله سبحانه قادر فعال لما يريد لا اعتراض على حكمه ومشيئته، ثم أخبر سبحانه عن إنكار المشركين للآخرة واستبعادهم قيام الساعة قال تعالى " ويقولون متى هذا الوعد...الخ " أي متى اليوم الموعود ؟ ومتى العذاب إن كنتم صادقين ؟ فرد عليهم سبحانه وتعالى " ما ينظرون إلا صيحة واحدة.... الخ " وهذه الصيحة تأخذهم فيموتون في أماكنهم [٣].

وفيما سبق قولهم استهزاءاً وانكاراً وتكبيراً بعدما رأوا الحق وأنكروه

---

(١) الرازي مجلد ٨٣/١٣.

(٢) الرازي مجلد ٨٣/١٣.

(٣) ابن كثير ١٦٥/٣.

فكان رد الله سبحانه عليهم " ما ينظرون إلا صيحة... الخ ".

قال تعالى " فلا يستطيعون توصية ولا إلي أهلهم... الخ " أي فلا يستطيع بعضهم أن يوصى بعضاً بأمر من الأمور، ولا يستطيعون الرجوع إلي منازلهم لأن الأمر أسرع منهم، ثم تكون النفخة الثانية وهي نفخة الصعق التي يموت بها الأحياء كلهم من خلق الله تعالى ثم بعدها النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور التي يخرج الناس بها من القبور.

يرى الطبري في معنى "ينسلون" أي يخرجون من القبور سراعاً (١).

قال تعالى " قالوا ويلينا من بعثنا من مرقدنا... الخ " أي يقولون يا هلاكنا من الذي أخرجنا من قبورنا هذه ؟ فيرد عليهم سبحانه وتعالى" هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " أي هذا الذي وعدكم به الرحمن من البعث بعد الموت والحساب والجزاء وصدق رسله فيما أخبر به تعالى من البعث والحساب والجزاء وصدق رسله فيما أخبرونا به "إن كانت إلا صيحة واحدة... الخ" أي ما كان أمر بعثهم إلا صيحة واحدة يصيح بها إسرافيل فإذا هم جميع لدنيا محضرون.

قال الصاوي: وهذه الصيحة وهي قول اسرافيل: أيتها العظام النخرة، والأوصال المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، ثم ينفخ في الصور فإذا هم مجموعون في موقف الحساب (٢).

" فاليوم لا تظلم ولا تجزون إلا ما كنتم تعلمون " أي ففي هذا اليوم

---

(١) الطبري ١١/٢٣.

(٢) الصاوي على الجلالين ٢٧٣/٣.

المشهود ألا وهو يوم القيامة لا تظلم نفس شيئاً سواء كانت هذه النفس بارة أو فاجرة فيجازى كل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر والعياذ بالله.

التحليل البلاغي:

في قوله تعالى " قيل " بالبناء للمجهول لظهور أن القائل هو الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ عن الله تعالى أي قيل لهم في القرآن (١).

وقوله تعالى" ما بين أيديهم " يراد منه المستقبل " وما خلفكم " المراد به الماضي وهذين التركيبين تمثيلان، فما بين أيديكم من أمر الآخرة وما خلفكم من أحوال الأمم في الدنيا وقيل عن ابن عباس ما بين أيديكم أحوال الأمم في الدنيا وما خلفكم في الآخرة (٢).

" لعلكم " للرجاء أي ترجي لكم الرحمة (٣)، قيل انه كلام بين كلامين متصلين ويحتمل أن يكون متصلاً بما قبله من الآية(٤) وتكون بذلك اتقوا راجين الرحمة فإن الله لا يجب عليه شيء أو أن الاتقاء نظراً إليه أمر يفيد الظن بالرحمة فإن كان يقطع به أحد لأمر من خارج فذلك لا يمنع الرجاء فإن الملك يعطى من يخدمه أكثر من أجره أضعافاً مضاعفة لكن الخدمة لا تقتضى ذلك (٥).

" وإذا قيل لهم اتقوا " إيجاز بالحذف معناه إذا قيل لهم ذلك، وحذف

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٢٣.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٢٣.

(٤) التحرير والتنوير ٣٠/٢٣.

(٥) الرازي مجلد ٨٣/١٣.

لدلالـــة مـــا بعده عليه وهو قوله " وما تأتيهم من آية.... الخ " وجاء الحـــذف فـــي موضعه مؤدياً الغرض منسقاً للمعنى كما هي عادة القرآن الكـــريم قـــال عبد القاهر الجرجاني عن هذا الباب أنه باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر.. الخ - وجيء في قوله تعالى " مَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَـــةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ " بهذه الجملة الواقعة موقع التذييل لما قبلها ففها تعميم أحوالهم وأحوال ما يبلغونه من القرآن فكأنه قال إذا قيل لهم اتقوا أعرضوا [١].

وفي قوله " وما تأتيهم " صيغة المضارع للدلالة على التجدد[٢].

قيل وفائدة "من" الأولى لتأكيد أعراضهم وصممهم عن سماع الحق [٣].

وأضاف سبحانه الآيات إليه لتفخيمها وتعظيمها [٤].

قال تعالى "وإذا قيل لهم أنفقوا... الخ " وفي ذلك اشارة الي انهم يبخلون بجميع ما على المكلف. وفيه عدة لطائف ذكرها الرازي بقوله: [الأولى خوطبوا بأدنى الدرجات في التعظيم والشفقة فلم يأتوا بشيء منه، وعباد الله المخلصـــون خوطـــبوا بالأدنى فأتوا بالأعلى إنما قلنا ذلك لانهم في الـــتقوى أمروا بأن يتقوا ما بين أيديهم من العذاب أو الآخرة وما خلفهم من الموت أو العذاب وهي أدنى ما يكون من الاتقاء، وأما الخاص فيتقى تغيـــير قلب الملك عليه وإن لم يعاقبه ومتقى العذاب لا يكون إلا للبعيد، فهم لم يتقوا معصية الله ولم يتقوا عذاب الله... الثانية كما أن في جانب

---

(١) التحرير والتنوير ٣١/٢٣. وينظر دلائل الإعجاز ص١٠٤.

(٢) فتح القدير ٤٦/١٤.

(٣) التفسير الوسيط ٤٥/٢٢.

(٤) التفسير الوسيط ٤٥/٢٢.

التعظيم ما كان فائدة التعظيم راجعة إلا اليهم فان الله مستغن عن تعظيمهم كذلك في جانب الشفقة ما كان فائدة الشفقة راجعة إلا إليهم، فإن من لا يرزقه المتمول لا يموت إلا بأجله ولا بد من وصول رزقة إليه لكن السعيد من قدر الله إيصال الرزق على يده إلي غيره "الثالثة " قوله " مما رزقكم " إشارة إلي أمرين أحدهما: أن البخل به في غاية القبح فإن أنجل النجلاء من يبخل بمال الغير " وثانيهما ": أنه لا ينبغي أن يمنعكم من ذلك مخافة الفقر فإن الله رزقكم فإذا أنفقتم فهو يخلفه لكم ثانياً كما رزقكم أولاً " (١).

وقد غير سبحانه اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا أننفق على من لو يشاء الله رزقه وذلك لأنهم أمروا بالأنفاق في قوله " وإذا قيل لهم أنفقوا " فكان جوابهم يقولوا أننفق وقالوا انطعم وذلك فه بيان مخالفتهم (٢) وفي أنطعم استفهام المراد به التهكم وفي قوله تعالى " قال الذين كفروا" بإظهار الموصول في مقام الاضمار وذلك للإيماء إلي أن صدور هذا القول منهم إنما هو لاجل كفرهم ولا يمان الذين سئل لانفاق عليهم (٣) وفيه طباق حسن في قوله " قال الذين كفروا للذين آمنوا " والاستفهام في " أنطعم " انكاري لأنهم أظهروا عدم الارتياح لذلك.

وفي قوله سبحانه " إن أنتم إلا.... " يفيد ما لا يفيد قوله " أنتم في ضلال " لأنه يوجب الحصر(٤) وقوله " في ضلال " يفيد كونهم مغمورين

---

(١) الرازي المجلد ٨٤/١٣.

(٢) الرازي المجلد ٨٥/١٣.

(٣) التحرير والتنوير ٣٢/٢٣.

(٤) الرازي ٨٥/١٣.

فيه وفي قوله تعالى " إن كنتم صادقين " الاستفهام مستعمل كناية عن التهكم والتكذيب [١]وقيل أطلق الوعد على الانذار والتهديد بالشر لان الوعد اعم ويتعين للخير والشر بالقرينة [٢] وفي قوله " ما ينظرون إلا صحية واحدة " التنكير للتكثير وفي قوله سبحان " توصية " اختيار للتوصية من بين سائر الكلمات يدل على انه لا قدرة له على أهم الكلمات فإن وقت الموت الحاجة الي التوصية أمس[٣]وقد نكر سبحانه التوصية للتعميم، ولأن التوصية تحصل بالإشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها [٤] وكذا كناية عن شدة السرعة بين الصيحة وهلاكهم [٥] وقد عبر سبحانه بقوله " ولا إلي أهلهم يرجعون " يقطعون أنهم لا يمهلون إلي أن يجتمعوا بأهاليهم وذلك يوجب الحاجة إلي التوصية.

وكذلك لأنهم إلي أهلهم لا يرجعون أي يموتون ولا رجوع لهم إلي الدنيا فلذلك يأتي بالوصية[٦] وفي قوله " نفخ " بالماضي لتحقق وقوعه وقد قال سبحانه " فإذا هم من الأجداث " إذا هنا للمفاجأة وهي حصول مضمون الجملة التي بعدها على وجه السرعة وضمير " هم " عائد إلي ما عادت إليه الضمائر السابقة ويجوز أن يعود على معلوم من المقام.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٣٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/٣٣.

(٣) الرازي مجلد ١٣/٨٧.

(٤) الرازي مجلد ١٣/٨٧.

(٥) التحرير والتنوير ٢٣/٣٥.

(٦) الرازي مجلد ١٣/٨٧.

وقـــال تعالى هنا " فإذا هم من الأجداث " وفي موضع آخر " ثم نفخ فيه أخـــرى فإذا هم قيام ينظرون" قيل أن القيام لا ينافي المشي السريع لأن الماشـــي قائم ولا ينافي النظر، والسرعة هي مجيء الأمور كأن الكل في زمان واحد كقول الشاعر:

مكـــر مفـــر مقبـــل مدبـــر معـــاً

كحلمود صخر حطة السيل من عل[١]

وعـــبر هنا بقوله تعالى " ربهم " لأن لفظ الرب يدل على الرحمة فلو قال بـــدل الـــرب المضـــاف إليهم لفظاً دالاً على الهيبة لكان لفظ الرب أليق وأحســـن وذلـــك لأن من أساء واضطر إلي التوجيه إلي من احسن إليه يكون ذلك أشد ألماً وأكثر ندماً من غيره [٢] لذا كان ما ذكره هنا سبحانه أحسن وأجمل وأتم في تأدية المعنى المراد.

وقـــد ذكـــر سبحانه هنا " قالوا يا ويلنا " ومن قبل "يا حسرة على العباد" مـــن غـــير اضافة وذلك لما كان القائل هو المكلف لم يكن لأحد علم إلا بحالـــه أو بحـــال من قرب منه، فكان كل واحد مشغولاً بنفسه، فكان كل واحـــد يقـــول يـــا حســـرتنا يـــا ويلـــنا لأن قوله تعالى " يا ويلنا " أي كـــل واحـــد قال يا ويلي، وحيث قال الله قال على سبيل العموم والشمول لعلمه بحالهم [٣].

وفـــي قوله تعلى " من بعثنا من مرقدنا " استعارة تصريحية حيث شبهوا

---

(١) الرازي مجلد ٨٨/١٨.

(٢) الرازي مجلد ٨٨/١٣.

(٣) الرازي مجلد٨٨/١٣.

حـال موتهـم بحال نومهم أبلغ من قولنا " من مماتنا" ويحتمل أن يكون المـرقد بمعـنى المصدر فيكون قوله المستعار منه الرقاد تفسيراً للكلام وتحقيقاً له وتكون الاستعارة أصلية [١].

وفـي قولـه " هـذا مـا وعد الرحمن " إيجاز بالحذف وهو قمة في البلاغة والفصاحة [٢] أي تقول لهم الملائكة هذا ما وعدكم به الرحمن سبحانه.

وفـي قولـه تعالى " إن كانت إلا صيحة واحدة " قيل أنها مؤنثة تأنيث تهويـل ومـبالغة. ولهذا جاءت أسماء يوم الحشر كلها مؤنثة كالقيامة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة [٣].

وفي قوله " فاليوم لا تظلم نفس شيئاً " يفيد العموم وقوله " ولا تجزون " مختص بالكافرين [٤].

وقد ورد السجع غير المتكلف في ختام الآيات التالية: "وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَباً فَمِـنْهُ يَـأْكُلُونَ" و "وَفَجَّـرْنَا فِـيهَا مِنَ الْعُيُونِ" و "وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُـونَ "... الـخ من الموضوعات التي ثار حولها الجدل قديماً وحديثاً الفواصل القرآنية وهل هي فاصلة أم سجع [٥].

---

(١) قرة العيون علي الجوهر المكنون ص ٤٣٩ بتحقيق الدكتورة منى محمد علي ١٩٩٠م.

(٢) النكـت فـي إعجاز القرآن ص ٦٩: ٧٠ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن بتحقيق د/ خلف الله سلام.

(٣) الفخر الرازي مجلد ٨٩/١٣.

(٤) الفخر الرازي مجلد ٩٠/١٣.

(٥) ينظر ذلك قرة العيون علي الجوهر المكنون وهو شرح منظومة بتحقيق د/ منى محمد علي بالهامش وينظر مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح – لابن يعقوب – ٤٥١/٤، ٤٥٢، الطراز للعلوي ٢٠/٣.

قال تعالى " إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ. سَلَامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ. وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ. أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ. وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ. هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ. الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (١).

لما ذكر سبحانه أحوال الكفار وشبهاتهم حول البعث شرع سبحانه في بيان أحوال المؤمنين بالبعث وما اعده الله لهم من نعيم دائم فقوله سبحانه " إن أصحاب الجنة " قيل انه من الكلام الذي يلقى من الملائكة، والجملة مستأنفه، وما سبق دليل على أن أهل الجنة عجل لهم النعيم وفي تعريف "اليوم " للعهد وفائدة الظرف التنويه بذلك اليوم، وأصحاب الجنة مشغولون بما هم فيه من لذة ونعيم يتفكهون ويتلذذون بالحور العين والأكل والشرب هم وزوجاتهم في ظلال الجنان الرائعة حيث لا شمس فيها ولا زمهرير متكئون على السرر المزينة بالثياب والستور ولهم في الجنة فاكهة كثيرة من جميع أنواع الفواكه " ولهم ما يدعون " أي ما يتمنون وأقصى ما يتمنون هم التسليم م الله عليهم فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلي شيء من النعم ما داموا ينظرون إليه.

وبعد أن بين سبحانه أحوال السعداء يذكر حال الأشقياء بقوله سبحانه " وامتازوا اليوم أيها المجرمون.الخ"أي انفصلوا عن عبادي المؤمنين(٢).

---

(١) يس من الآية " ٥٥: ٦٥ ".

(٢) القرطبي ١٥/٤٦.

التحليل البلاغي:

قال تعالى " لهم فاكهة " ولم يقل يأكلون فاكهة اشارة إلي كون زمام الاختيار بيدهم وكونهم مالكين وقادرين وقد نكر فاكهة للتكثير أي فاكهة كثيرة وخُصت بالذكر لأنها عزيزة النوال للناس في الدنيا ولأنها استجلبها الاتكاء لأن شأن المتكئين أن يشتغلوا بتناول الفواكه[١] وقيل " لهم فيها فاكهة " بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب وما يتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية، ويجوز أن يكون استئنافاً بيانياً وقع جواب لسؤال نشأ مما يدل عليه الكلام السابق [٢].

وقوله تعالى " ما يدعون " يجوز أن يكون متصرفاً من الدعاء أو من الإدعاء أي ما يدعون إليه، أو يدعون في أنفسهم أنه لهم بالهام إلهى. وصيغ له وزن الافتعال للمبالغة ومعناه يتمنون يقال: ادع على ما شئت، أي تمن علي، وفلان في خير ما ادعى، أي في خير ما يتمنى ومنه قوله تعالى " وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ" [٣] "سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ " مرفوع في جميع القراءات المشهورة وهو مبتدأ ونكر للتعظيم ورفعة للدلالة على الدوام والتحقق، لأن أصله النصب على المفعولية المطلقة نيابة عن الفعل مثل قوله "قالوا سلاماً" فلما أريدت الدلالة على الدوام جيئ به مرفوعاً مثل قوله "قال سلام" وحذف خبره لنيابة المفعول المطلق وهو "قولاً" عن الخبر لأن تقديره سلام يقال لهم قولاً من الله والذي اقتصى حذف الفعل ونيابة المصدر عنه استعداد

---

(١) التحرير والتنوير ٤٢/٢٣، ٤٣، الرازي مجلد ٩٣/١٣.

(٢) الكشاف ٣٧/٣.

(٣) فصلت آية ٣١ وينظر التحرير والتنوير ٤٤/٢٣.

المصـــدر لقـــبول التنوين الدال على التعظيم [١]وقيل تقديره سلام عليكم ويكون هذا نوعاً من الالتفات [٢].

قال سبحانه هنا " سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ " وفي موضع آخر " نُزُلاً مِّنْ غَفُـورٍ رَّحِـيمٍ " قيل [النزل هو ما يرزق التنزيل أولاً وذلك يدل على ما بعـده، فإن التنزيل إذا أكرم أولاً يدل على أنه مكرم وإذا اقل بإكرامه في الأول يـدل علـى أنه مهان دائماً غير أن ذلك غير مقطوع به لجواز أن يكـون الملـك واسـع الـرزق فيرزق نزيلة أولاً ولا يمنع منه الطعام والشراب] [٣].

وفـي قولـه تعالى " وامتازوا " وجه الأمر إليهم بأن يمتازوا مبالغة في الإسراع بحصول الميز... ويؤول إلي معنى ادخلوا النار [٤].

وقـد كـرر سبحانه كلمة " اليوم " ثلاث مرات في هذه القصة للتعريض بالمخاطبين فيه وهم الكفار [٥].

" ألم أعهد إليكم يا بني آدم.الخ"الاستفهام تقرير وخوطبوا " بني آدم" لأن المقام مقام توبيخ وتقريع وإلزام للكفرة أي ألم آمركم وأوصيكم "إنه لكم عـدو مبين " هذا تعليل للنهي لأنه عدو ظاهر فكيف يطيع الإنسان عدوه ؟!"ومبين"اسم فاعل من أبان بمعنى بأن للمبالغة أي عداوته واضحة[٦].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٤٤.

(٢) الرازي مجلد ١٣/٩٤.

(٣) الرازي مجلد ١٣/٩٥.

(٤) التحرير والتنوير ٢٣/٤٥.

(٥) التحرير والتنوير ٢٣/٤٥.

(٦) التحرير والتنوير ٢٣/٤٧.

" وأن أعبدونـــي " عطف على " أن لا تعبدوا الشيطان " و " أن " مفسرة للعهد وقدم النهي على الأمر هنا لأن من حق التخلية التقدم على التحلية وليتصـــل به قوله تعالى " هذا صراط مستقيم " والجملة استئنافية لبيان المقتضى للعهد بعبادته تعالى أو للعهد بشقيه والتنكير للمبالغة والتعظيم، وهـــو مفـــيد للحصر، وجوزوا أن يكون التنكير للتبعيض على معنى هذا بعـــض الصراط وقيل فيه إدماج التوبيخ [١] وفيه طباق السلب بين " ألا تعبدوا " و اعبدوني " "ولقد أضل منكم....الخ " تأكيد للتعليل وفي قوله " أفلـــم تكونوا تعقلون " استفهام انكاري المراد بمنه لتوبيخ للكفرة وفي قولـــه تعالى " اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون " في الآية أسلوب أمر قيل وفي هذا الكلام شدة ندامتهم وحسرتهم من ثلاثة أوجه:

أحدهمـــا: قولـــه تعالى " اصلوها " فإنه أمر تنكيل واهانة كقوله ذق " إنك أنت العزيـــز الكـــريم " والثانـــي: قوله " اليوم " يعني العذاب حاضر ولذاتك مضت الثالـــث: قولـــه تعالى " بما كنتم تكفرون " فإن الكفر والكفران ينبئ عن نعمة كانت يكفر بها وحياء الكفور من المنعم من اشد الآلام [٢].

قـــال تعـــالى " الـــيوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم.... الخ " جعل الشاهدة للأرجل والكلام للأيدي لأن الأفعال تسند إلي الأيدي.

قـــيل وقـــد يخـــيل تعارض ين هذه الآية وبين قوله " يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِـــنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِـــمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " [٣] ولا تعارض لان آية يس في أحوال المشركين وآية سورة النور في أحوال المنافقين[٤].

---

(١) روح المعاني – الألوسي – ٢٣/٤٠، ٤١.

(٢) الرازي مجلد ١٣/١٠١.

(٣) سورة النور آية " ٢٤ ".

(٤) التحرير والتنوير ٢٣/٥٠.

وفي قوله " اليوم نختم على أفواههم " كناية عن منعهم من التكلم. وقد يكون الختم مستعاراً للمنع حيث شبه أحداث حالة في أفواههم مانعة من التكلم بالختم الحقيقي ثم استعار له الختم واشتق منه يختم على سبيل الاستعارة التبعية قيل ونسبة للكلام إلي الايدي دون الشهادة لمزيد اختصاصها بمباشرة الأعمال وأضافتها إليها فكأنها هي العاملة [١].

قال تعالى " وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ. وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِياً وَلاَ يَرْجِعُونَ. وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ " [٢].

لما وضح سبحانه في الآيات السابقة أن الجوارح تشهد على الإنسان بما عمل في الدنيا من خير وشر، شرع في بيان أنه أبقاها تفضلاً منه لانتفاع العباد بها ولم يشكروا لذلك شهدت عليهم ووضح سبحانه أنه لو شاء لأعماهم عن الهدى فلم يهتدون أبداً إلي طريق الخير [٣].

" ولو نشاء لمسخناهم " أي لو شاء الله لمسخهم مسخاً يقيدهم في أماكنهم " فما استطاعوا مضياً " إذا مسخوا فلم يقدروا أن يذهبوا أو يرجعوا ثم يذكر سبحانه ولائل قدرته على مسخ الكفار بتطاول الاعمال فقال " ومن نعمره... الخ " أي من نطل عمره نقلبه في أطوار منتكساً في الخلق فيصير كالطفل لا يعلم شيئاً ثم قال سبحانه " أفلا تعقلون " أي لا تعقلون بأن الله قادر على كل شيء [٤].

---

(١) روح المعاني ٤٢/٢٣.

(٢) الرازي مجلد ١٠١/١٣.

(٣) القرطبي ٣٥/١٥ والرازي مجلد ١٠٢/١٣.

(٤) التسهيل في علوم التنزيل ١٦/٣.

التحليل البلاغي:

" ولـو نشـاء لطمسنا.... الخ " أسلوب تهديد المراد منه العظة والعبرة والـرجوع للحق سبحانه وفيه زيادة توبيخ لهم وبيان أنه سبحانه قادر على منعهم من الحركة نهائياً، وكذا في قوله " ولو نشاء... الخ " إيجاز حذف حيث حذف مفعول المشيئة أي لو نشاء أن نطمس لطمسنا [١] وقد حذف مفعول المشيئة هنا للبيان بعد الإبهام فكل من الشرط والجواب دل علـى المفعـول لكن الشرط أول عليه اجمالاً والجواب دل عليه تفصيلاً فالبـيان بعد الابهام أوقع في النفي " فاستبقوا الصراط " كناية عن عمي البصـر والبصـيرة معاً ومبالغة في الاهتداء يجعل الصراط مستقيماً [٢] وفـي قوله " أنى " استفهام بمعنى كيف وهو مستعمل في الإنكار، أي لا يبصـرون وقـد طمسـت أعينهم. ولو شئنا لعجلنا لهم عقوبة في الدنيا يرتدعون بها [٣] قيل قدم الطمس والإعماء على المسخ والإعجاز ليكون الكـلام مدرجـاً كأنه قال إن أعمالهم لم يروا الطريق الذي هم عليه ثم أرتقى وقال فلو مسخهم وسلب قوتهم بالكلية لا يهتدون إلي الصراط [٤]. وقدم المعنى على الرجوع لأن الرجوع أهون من المعنى [٥] وفي قوله " مُضـياً..يَـرْجِعُونَ "طباق حسن زين الكلام وحسنة وزاده بهاء وراونقاً وهـو طباق بين فعلين، ووضع الفعل موضعه للفواصل في "يرجعون"[٦]

---

(١) فتح القدير ٤٦٨/٤.

(٢) الرازي مجلد ٥٣/١٣.

(٣) التحرير والتنوير ٥٢/٢٣.

(٤) الرازي مجلد ٥٣/١٣.

(٥) الرازي مجلد ٥٣/١٣.

(٦) حاشية الشهاب على البيضاوي ٢٥٠/٧ بيروت.

وفي قوله " وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ وفي قوله " أفلا تعقلون" استفهام انكاري المراد منه التوبيخ والتقريع للكفار وقيل " ننكسه " يطلق مجازاً على الرجوع من حال حسنة إلي سيئة وهنا مجاز لا محالة في الإذلال بعد العزة وسوء الحالة بعد زهرتها (١).

قال تعالى " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ. لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ. أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ. وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ. وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ. وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ. لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ. فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " (٢).

في الآيات التي نحن بصددها تنزيه للرسول صلى الله عليه وسلم – عن قول الشعر وإثبات ربوبية الله تعالى الموجه للوحدانية، وقد أخبر سبحانه عن حال نبيه بقوله " وما علمناه الشعر وما ينبغي له..." أي ما علمنا محمد صلى الله عليه وسلم الشعر ولا يصح ولا يليق به وخص ذكر الشعر دون ذكر الكهانة مع اتهام النبي صلى الله عليه وسلم – بالثلاثة قيل أما الكهانة فكانوا ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم إليها عندما كان يخبر عن الغيوب. وأما السحر فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يفعل مالا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكلم الحصى والجزع. وأما الشعر فكانوا ينسبونه إليه عندما كان يتلوا القرآن عليهم لكنه صلى الله عليه وسلم ما كان يتحدى إلا بالقرآن كما قال تعالى " وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٥٤.

(٢) يس من الآية " ٦٩: ٧٦ ".

مِّمَّـا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ " [١]،فلما كان تحديه بالكلام وكانوا ينسبونه إلي الشعر عند الكلام خص الشعر [٢].

فالذي علمه الله سبحانه لنبيه قرآن كريم منزه عن قول الشعر لأن الشعر كلام موزون فيه الصدق والكذب بخلاف كلام الله سبحانه فكله صادق.

" ومـا ينبغي له " جملة معترضة بين الجملتين المتعاطفتين بقصد اتباع نفـي أن يكـون القرآن الموصى به للنبي صلى الله عليه وسلم - شعراً ونفى أن يكون النبي شاعراً.

وقـيل أنها جملة بمنزلة التعليل لجملة"وما علمناه"ومعناها وما يتأتى له الشـعر، ومـا يتسـهل له حتى أنه إن تمثل بيت شعر سمع منه مزاحفاً يروى أنه كان يقول-صلى الله عليه وسلم-"ويأيتك من لم تزود بالأخبار" وقـيل يحمل ما ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو أن الشعر ما كان يليق به وذلك لأن الشعر يدعوا إلي تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن فالشارع يكون اللفظ منه تبعاً للمعنى،والشاعر يكون المعنى منه تبعاً للفظ [٣].

" ليـنذر من كان حياً " أي لينذر من كان له قلب مستنير وبصيرة واعية وهـم المؤمـنون المنتفعون به فهنا تصوير رائع لحالهم." ويحق القول علـى الكافريـن " لأنهم كالأصوات لا يعقلون ما يخاطبون به ثم ذكرهم سبحانه بقوله فيما أبدعته أيدينا من غير واسطة وبلا شريك وهي الإبل الأنعـام... الخ فيستدلوا بذلك على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقرأ بالـتاء والـياء التاء خطاباً مع النبي صلى الله عليه وسلم أو المراد به

---

(١) البقرة آية " ٢٣ ".

(٢) الرازي مجلد ١٠٤/١٣.

(٣) ينظر التحير والتنوير ٥٢/٢٣، والرازي المجلد ١٠٤/٣، ١٠٥.

ليـنذر مـن كان حياً في نفس اسم الأمر[١]" ويحق القول على الكافرين" قـيل أما قول العذاب وكلمته كما قال تعالى" ولَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَـنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ "وقوله تعالى "حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ" وذلك لأن الله سـبحانه قال "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً" فإذا جاء فحق التعذيب على من وجد منه التكذيب[٢].

" أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً " أي بقدرة الله سبحانه " فَهُـمْ لَهَـا مَالِكُونَ " إشارة منه سبحانه إلي إتمام الأنعام على عباده " وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ " زيادة إنعام.

" فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ " بيان لمنفعة التذليل.

"وَلَهُـمْ فِـيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ" وذلك لأن من الحيوانات مالاً يركب كالغنم فقـال منافع لتعمها، والمشارب كذلك عامة. " أَفَلاَ يَشْكُرُونَ " هذه النعم توجـب التـي العـبادة شكراً عليها. " وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَـرُونَ " إشارة إلي بيان زيادة ضلالهم ونهايتها فكان الواجب عليهم عبادة الله شكراً لأنعمه " لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ " إشـارة إلـي الحشر بعد تقرير التوحيد " فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ " إشارة إلي الرسـالة لأن الخطـاب معه بما يوجب تسلية قلبه دليل اختياره إياه."إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ" أما أن يكون تهديداً للمشركين والمنافقين أو " مـا يسرون " من العلم بك " وما يعلنون " من الكفر بك أو ما يسرون من العقائد الفاسدة "وما يعلنون" من الأفعال القبيحة [٣].

---

(١) الرازي مجلد ١٣/١٠٥، ١٠٦.

(٢) الرازي مجلد ١٣/١٠٦.

(٣) ينظر في جميع ما سبق الرازي مجلد ١٣/١٠٦، ٧.

التحليل البلاغي:

قال تعالى " وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ " جملة " إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ " استئناف بياني لأن نفي الشعر عن القرآن يثير سؤال متطلب يقول: فما هو هذا الذي أوحي به إلي محمد صلى الله عليه وسلم - فكان قوله " إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ " جواباً، وفيه أسلوب قصر[1] عن طريق النفي والاستثناء بـ " إن " و " إلا " وهو من قصر القلب من قبيل قصر الموصوف على الصفة والذكر مصدر وصف به الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم- وصفاً للمبالغة "لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ" في هذه الآية الكريمة مقابلة وتكون من كلمتين إلي ست كلمات، وهنا قابل الإنذار الأعذار، والمؤمنين بالكافرين. في أسلوب بديعي جميل له أثره في الأسلوب.

وفي " لتنذر" بتاء لخطاب على الالتفات من ضمير الغيبة في قوله " علمناه " إلي ضمير الخطاب. وقرأ بياء الغائب " لينذر".

" مَن كَانَ حَيًّا " الحي قيل تشبيه بليغ أي من كان مثل الحي في الفهم والمقصود منه التعريض بالمعرضين عن دلائل القرآن بأنهم كالأموات لا انتفاع بعقولهم [2].

وفي قوله " مَن كَانَ حَيًّا " استعارة حيث شبه القلب المستجيب لأوامر الله تعالى بالحي الذي يستفيد بما حوله حذف المشبه به وذكر المشبه على سبيل الاستعارة المكنية، وعطف " وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ "

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٦٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/٦٦.

علـــى "لتنذر" عطف المجاز على الحقيقة ففي "الواو" استعارة تبعيته لأن الـــلام النائب عنه الواو ليس لام تعليل ولكنه لام لما قبله كللام في قوله "فَالْـتَقَطَهُ آلُ فِـرْعَوْنَ لِـيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً" (١) ويجوز كونه مجازاً مرســلاً (٢) وفي قوله قول " لينذر.. الخ " عود لما بدأت به السورة من قوله " لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ " فهو من رد العجز على الصدر(٣).

قـــال تعـــالى " أولم يروا... الخ " هنا أسلوب استفهام المراد منه الإنكار والتعجـــب " ممـــا عملـــت أيديـــنا " استعارة تمثيلية حيث شبه سبحانه اختصاصـــه بـــالخلق بمـــن يعمل أمراً بيده ويضيعه بنفسه فاستعار لفظ العمل للخلق على طريق الاستعارة التمثيلية (٤).

وقيل في إسناد العمل للأيدي مبالغة في الاختصاص بالتفرد بالخلق (٥).

وقـــيل: الأيـــدي مجاز عن الملائكة المأمورين بمباشرة الأعمال حسبما يريده سبحانه.

وقـــيل: الأيـــدي مجـــاز عن الأسماء فإن كل أثر في العالم بواسطة اسم خاص من أسمائه عز وجل (٦).

وفـــي تقديـــم " لهـــا " علـــى " مـــالكون " لزيادة استحضار الأنعام على

---

(١) التحرير والتنوير ٦٧/٢٣.

(٢) روح المعاني ٥٠/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير ٦٧/٢٣.

(٤) الكشاف ٢٣٠/٣ دار الفكر وحاشية الشهاب ١٤٠/٣.

(٥) فتح القدير ٤٧٢/٤.

(٦) روح المعاني ٥٠/٢٣.

السامعين ومراعاة للفاصلة [١].

وعدل عن "فهم مالكوها" إلي "فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ" ليتأتى التنكير فيفيد التعظيم للكناية عن تعظيم الملك، أي بكثرة الانتفاع وهو ما أشار إليه تفصيلاً وإجمالا قوله تعالى "وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ "إلي قوله " وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ " وأن إضافة الوصف المشبه الفعل وإن كانت لا تكسب المضاف تعريفاً لكنها لا تنسلخ خصائص التنكير مثل التنوين [٢].

وجيء بالجملة الاسمية لإفادة ثبات هذا الملك ودوامه [٣].

" فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ " الفاء لتفريع أحكام التذليل أي فمنها مركوبهم الذي يركبونه كما يقال ناقة حلوب أي محلوبة [٤].

" وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ " هنا ذكر العام بعد الخاص فقال سبحانه " وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ " بعد قوله " فمنها ركوبهم وفائدة هذا الأسلوب ابرز النعمة وتعظيم المنة من الله تعالى.

" أَفَلاَ يَشْكُرُونَ " استفهام للتحضيض على الشكر وهو انكار المراد منه التوبيخ والتقريع أي بعد كل ما ذكر أفلا يشكرون نعمة الله [٥].

وقيل استفهاماً تعجبياً لتركهم تكرير الشكر على هذه النعم العدة فلذلك جيء بالمضارع المفيد للتجديد والاستمرار لأن تلك النعم متتالية متعاقبة

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٦٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/٦٩.

(٣) التحرير والتنوير ٢٣/٦٩.

(٤) روح المعاني ٢٣/٥١.

(٥) فتح القدير ٤/٤٧٣.

في كل حين وإذ قد عجب من عدم تكريرهم الشكر [١].

" مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً " أتى باسم الجلالة العلم دون ضمير إظهار في مقام الإضمار لما يشعر به اسمه العلم من عظمة الإلهية إيماء إلي أن اتخاذهم آلهة من دونه جراءة عظيمة ليكون ذلك توطئة لقوله بعد " فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ " أي أنهم قالوا ما هو أشد نكراً [٢].

والاضمار في سورة الفرقان " وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ " [٣] لأنه تقدم ذكر انفراده سبحانه بالإلهية صريحاً من قوله " الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً " [٤] " لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ " قيل إما أن تكون " لعل " تمثيلية مكنية بأن شبه شأن الله فيما أخبر عنهم بحال من يرجو من المخبر عنهم أن يحصل لهم خبر " لعل " وذكر حرف " لعل " رديف المشبه به فتكون جملة " لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ " معترضة بين " آلهة " وبين صفة " لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ "، وإما أن يكون الكلام جرى على معنى الاستفهام الانكاري أو التهكمي والجملة معترضة أيضاً وإما أن يجعل الرجاء منصرفاً الي رجاء المخبر عنهم أي راجين أن تنصرهم آلهتهم وعلى تقدير قول محذوف أي قائلين لعلنا ننصر [٥].

وإما أن تجعل " لعل " للتعليل على مذهب الكسائي فتكون جملة " لا

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٦٩، ٧٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/٧٠.

(٣) الفرقان آية " ٣ ".

(٤) الفرقان آية " ٢ " ينظر التحرير والتنوير ٢٣/٧٠.

(٥) التحرير والتنوير ٢٣/٧١.

يستطيعون نصرناً " استئنافاً (١).

قال تعالى " لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ" فيه تشبيه بليغ محذوف الوجه والأداة، فقد شبههم بالجند في الخدمة والدفاع.

وفي قوله " لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ " استئناف لبيان بطلان ما رجوه منها وأملوه من نفعها (٢) وقيل في قوله سبحانه " وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ " وعيد بعذاب لا يجدون منه ملجأ (٣).

" فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ " فرع على قوله " وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً " صرف أن تحزن أقوالهم النبي صلى الله عليه وسلم - بمعنى تحذيره من أن يحزن لأقوالهم فقد قالوا في شأن الله سبحانه أفظع (٤) وقيل " فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ " إشارة إلي الرسالة لأن الخطاب معه بما يوجب تسلية قلبه (٥).

قال تعالى " إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " فيه طباق بين السر والعلانية قيل وهو تعليل للنهي والخبر كناية عن مؤاخذتهم بما يقولن. أي أنا محصون عليهم أقوالهم وما تسره أنفسهم مما لا يجهرون به فنؤاخذهم بذلك، وفي قوله " مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " تعميم لجعل التعليل تذييلاً أيضاً (٦).

---

(١) التحرير والتنوير ٧١/٢٣. ورح المعاني ٥٢/٢٣.

(٢) فتح القدير ٤٧٣/٤.

(٣) التحرير والتنوير ٧٢/٢٣.

(٤) التحرير والتنوير ٧٢/٢٣.

(٥) الرازي مجلد ١٠٧/١٣.

(٦) التحرير والتنوير ٧٢/٢٣.

" وإن " مغنـــية عن فاء التسبب في مقام ورودها لمجرد الاهتمام بالتأكيد المخبر بالجملة ليست مستأنفة ولكنها مترتبة [١].

وقـــدم الإسرار للاهتمام به لأن أشد دلالة على إحاطة علم الله بأحوالهم وذكـــر بعـــده الإعـــلان لأنه محل الخبر وللدلالة على استيعاب علم الله سبحانه بجزيئات الأمور وكلياتها [٢].

قـــيل والوقـــف عند قوله سبحانه " فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ " مع الابتداء بقوله سبحانه " إِنَّا نَعْلَمُ " أحسن من الوصل لأنه أوضح للمعنى [٣].

قـــال تعالى " أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّـــذِي أَنشَـــأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَـــادِرٍ عَلَـــى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـــيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " [٤].

في هذه الآيات نجد رب العزة سبحانه يناقش الكافرين في انكارهم للبعث مقـــرراً ذلـــك بالأدلـــة القاطعـــة التـــي لا شك فيها بإقامة الدليل القاطع والـــبرهان الساطع على البعث والنشور فقال سبحانه " أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٧٢.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/٧٢.

(٣) التحرير والتنوير ٢٣/٧٢.

(٤) سورة يس من الآية " ٧٧: ٨٣ ".

أَنَّـا خَلَقْـنَاهُ... الـخ " استفهام انكاري بمعنى أولم ينظر الإنسان الكافر نظرة اعتبار ويتفكر في قدرة الله تعالى فيعلم أنا خلقناه من شيء مهين هو النطفة.

قـيل المراد بالإنسان أبي بن خلف فإن الآية وردت فيه حيث أخذ عظماً بالـياً وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إنك تقول إن إلهك يحي هذه العظـام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعم ويدخلك جهنم. وقد ورد أن الاعتبار بعموم اللفظ " لا بخصوص السبب بدليل قوله " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا " (١).

نزلـت فـي واحـدة وأراد سـبحانه الكل في الحكم (٢) وقيل وردت في العاصي ابن وائل وقيل أبو جهل (٣) " فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ " أي فإذا هو شـديد الخصـومة والجـدال بالباطل يخاصم ربه سبحانه وينكر قدرته، ويكـذب بالبعـث والنشور أفليس الله القادر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث (٤).

" وَضَـرَبَ لَـنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ " أي المثل بالعظم الرميم مستبعداً على الله تعـالى خلـق الإنسـان بعد موته ونسي أنا أنشأناه من نطفة ميتة وأدخلنا فيه الحياة نسي مع أن جوابه في نفسه حاضر.

" قَـالَ مَـن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ " اختاروا العظم للذكر لأنه أبعد عن

---

(١) سورة المجادلة آية " ١ ".

(٢) الرازي مجلد ١٣/١٠٨.

(٣) التحرير والتنوير ٢٣/٧٣.

(٤) البحر المحيط ٧/٣٤٨، وروح المعاني ٢٣/٥٣.

الحياة لعدم الإحساس فيه [١].

" قُـلْ يُحْيِـيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ " أي كما خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً كذلك يعيده وإن لم يبق شيئاً مذكوراً[٢]

فقال سبحانه في ابطال هذه الشبهة " وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ " ووجه هو أن في الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فإذا أكل إنسان إنساناً صار الأصلي من أجزاء المأكول فضلياً من أجزاء الأكل والأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان له قبل الاكل [٣].

" وَهُـوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ " يعلم الأصل من الفضلى فيجمع الأجزاء الأصلية للآكـل ويـنفخ فيها روحه ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكول وينفخ فيها روحـه وكذلك يجمع الأجزاء المتفرقة في البقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة [٤].

" الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ " أي فإذا أنت توقدون النار في الشجر الأخضر.

" أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ " على خلق أجساد بني آدم بعـد دفـنها. " بَلَى وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ " مبالغ في العلم فيعلم جل وعلا بجمـيع الأجـزاء المتفـتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفـروعها وأوضـاع بعضـها مـع بعـض فهـو معطـوف علـى

---

(١) الرازي مجلد ١٠٩/١٣.

(٢) الرازي مجلد ١٠٩/١٣.

(٣) الرازي مجلد ١٠٩/١٣.

(٤) الرازي مجلد ١١٠/١٣.

ما يفيده الايجاب [١].

" إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ " أي شأنه في الإيجاد أو الأمر القولي أن يقول له أوجد فيوجد " فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " لا غيره [٢] المبدع للخلق والتكوين. كما قال تعالى " لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا " [٣].

التحليل البلاغي:

" أولم ير الإنسان... " " أوليس الذي خلق... " استفهام انكاري المراد منه التوبيخ والتقريع لإقامة الحجة على منكري البعث [٤] والجملة الأولى مستأنفة من المذهب الكلامي [٥].

" الإنسان " اللام في الإنسان تعريف للعهد لأنه لا يستقيم حملها على غير ذلك لأن جعله للجنس يقتضى جنس الإنسان ينكرون البعث كيف؟ وفيهم المؤمنون وأهل الملل، وكذا حملها على الاستغراق أبعد إلا أن يراد الاستغراق العرفي وليس هنا موقعة وقوله في سورة النحل " خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ " [٦] وهو تعريف الاستغراق أي خلق كل إنسان لأن المقام مقام الاستغراق الحقيقي [٧] قيل والرؤية

---

(١) روح المعاني ٢٣/٥٦.

(٢) روح المعاني ٢٣/٥٧.

(٣) سورة الأنبياء الآية " ٢٢ ".

(٤) فتح القدير ٤/٤٧٤.

(٥) البديع ابن المعتز ٨٠: ٨٣.

(٦) النحل آية " ٤ ".

(٧) التحرير والتنوير ٢٣/٧٤.

قلبية، "وخصيم" فعيل مبالغة في معنى مفاعل.

" وَضَـرَبَ لَـنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ " المثل تمثيل الحالة فالمعنى وأتى لهم بتشـبيه حـال قدرتـنا بحال عجز الناس إذ أحال إحياءنا العظام بعد أن أرمت وهو كقوله تعالى " فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ " (١).

" قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ " الاستفهام هنا انكاري، والجملة بيان لجملـة " وَضَـرَبَ لَـنَا مَثَلاً "، " وَنَسِيَ خَلْقَهُ " مستعار لانتفاء العلم من أصله أي لعدم الاهتداء للخلق الأوَّل.

" قُـلْ يُحْيِـيهَا الَّـذِي أَنشَأَهَا " أمر بجواب على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل اسـتفهام القائل على خلاف مراده. فلذلك بنى الجواب على فعل الإحياء مسنداً للمحـي علـى أن الجواب صالح لأن يكون إبطالاً للنفي المراد من الاستفهام الإنكاري كأنه قيل: بل يحيها الذي أنشأها أول مرة.

وجعـل بـيان الإمكان في جعل المسند إليه موصولاً لتدل الصلة على الإمكان فيحصل الفرضان فالموصول هنا إيماء إلي وجه بناء الخبر وهو يحييها(٢).

" وَهُـوَ بِكُـلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ " تذييل أي واسع العلم محيط بكل وسائل الخلق قال أبو السعود: ["وهو بكل خلق عليم " مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلـق – والايماء إنشاء واعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة بكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها وأوضاع بعضها من بعض مـن الاتصـال والإنفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كل من على النمط السابق مع القوى التي كانت من قبل والجملة إما اعتراض تذييلي مقرر

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٧٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/٧٥، ٧٦.

لمضـــمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول إلي الجملة الاسمية للتنبيه على أن علمه بما ذكر أمر مستمر ليس كإنشائه للمنشآت] [١].

" الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ " بدل من الـــذي أنشـــأها بـــدلاً مطابقاً قيل ولم تعطف الصلة على الصلة فيكتفي بـــالعطف عن إعادة اسم الموصول لأن في إعادة الموصول تأكيداً للأول واهتماماً بالثاني حتى تستشرف نفس السامع لتلقى ما يردد بعده فيفطن بمـــا فـــي الخلـــق من الغرابة وليس المراد بالأخضر اللون وإنما المراد لازمة وهو الرطوبة لأن الشجر أخضر اللون مادام حياً فإذا جف استمال لونـــه إلـــي الغـــبرة فصـــارت الخضرة كناية عن رطوبة النبت وحياته ووصف الشجر بالأخضر بدون تأنيث مراعاة للفظ الموصوف بخلوه من علامة التأنيث[٢].

قيل وجيء بالمسند فعلاً مضارعاً لإفادة تكرر ذلك واستمراره [٣].

فهـــنا بيـــن الله ســـبحانه مظاهر قدرته وكماله [٤] وجملة " وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ " معترضية في آخر الكلام والواو اعتراضية [٥].

" إِنَّمَـــا أَمْـــرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ " هنا استعارة تمثيلية حيث شبه سرعة تأثير قدرته تعالى ونفاذها في الأشياء بأمر الله المطاع مـــن غـــير توقف أو امتناع فإذا أراد شيئاً منح من غير ابطاء وهو من

---

(١) ارشاد العقل السلم ١٨١/٧.

(٢) التحرير والتنوير ٧٧/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير ٧٧/٢٣.

(٤) الهداية مجلة إسلامية - العدد الحادي والثلاثون ص ٣٨ ط ١٤٠٩هـ.

(٥) التحرير والتنوير ٧٨/٢٣.

لطيف الاستعارة [١].

فـــي قوله تعالى" إنما.. الخ " من بلاغة اللغة وهو طرح السؤال والإجابة عـــنه وفيه تبكيت لأولئك الذي لا يفهمون " وإنما " هنا أفادت الحصر في كـــل الأمـــور كمـــا أن في قوله " إنما " تجدد واستمرار لقدرة الله تعالى وخلق الكائنات وكذا الإعادة مرة أخرى.

قال تعالى " ملكوت " مبالغة في الملك فمادة فعلوت وردت بقلة في اللغة العربية ومن ذلك قولهم رحموت ورهبوت ومن أقولاهم الشبيهة بالأمثال " رهـــبوت خير من رحموت " أي لأن يرهبك الناس خير من أن يرحموك بمعنى لأن تكون عزيزاً خيراً من أن تكون هيناً [٢].

وجملـــة " وَإِلَـــيْهِ تُرْجَعُونَ " عطف على جملة التسبيح من عطف الخبر علـــى الانشـــاء وتقديـــم " وَإِلَيْهِ " على " تُرْجَعُونَ " قدم هنا شبه الجملة للاهتمام ورعاية الفاصلة القرآنية [٣].

وفـــي الجملة السابقة يعطي اختصاص الرجوع إلي الله وحده وفي بناء الفعل للمجهول إبهام وتفخيم.

---

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن – الشريف الرضى – ١٩٢/١، والكشاف ٣/ ٣٣٢.

(٢) التحرير والتنوير ٨٠/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير ٨٠/٢٣.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين شرف الأمة جمعاء بإنزال القرآن الكريم على سيد الأولين والآخرين، وجعله مترابطاً متناسباً في آياته وسوره وموضوعاته وحكمة وإحكامه مما يقطع به أنه من كلام رب العالمين، فأحيا به القلوب وأنار به الأبصار وهدى به من الضلالة، وجعله معجزة خالدة على مر السنين والدهور خالدة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

فمن خلال هذه الدراسة لكتاب الله من خلال البيان في سورة يس:

١- يتضح مكن البحث أن البلاغة فيه تعد سر من أسرار القرآن الكريم ومعين لا ينضب فالقرآن الكريم وما يشتمل عليه من معان وبيان وبديع يؤدي الفرض المنوط منه بأحسن وأجمل كلام.

٢- تنوعت الأساليب البلاغية من أسلوب هادئ بديع فيه ترغيب وترهيب وإثارة وتهديد ووعيد، تصوير وبيان وتمثيل كلها لها روعة وجمالٌ وبهاءً وتأثيراً في النفس.

٣- ذكر في السورة الكريمة أساليب متنوعة خبرية وإنشائية مجاز واستعارة كناية وتشبيه وتمثيل وتوكيد وتقديم وتأخير، تعريف وتنكير ايجاز واطناب كل في مكانه مستقر مؤ المعنى في أحد صورة وأجمل عبارة كما نجد البديع وقد جاء غير متكلف له دورة الحظيرفي إيصل المعنى إلي السامع والمتلقى.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى وآخر دعوايى الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

١- الاتقان في علوم القرآن - السيوطي - بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ثالثة دار التراث القاهرة.

٢- أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني - المكتبة التجارية بمصر.

٣- إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم - أبي السعود - دار إحياء التراث بيروت - لبنان.

٤- أيسر التفاسير للكلام العلي الكبير - أبي بكر الجزائري - دار السلام ابداع دار الكتب المصرية ٩٤/٣٧/١١.

٥- الايضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني - دار الفكر العربي ١٩٨٣م.

٦- البديع - لابن المعتز - ط ١٩٣٥م.

٧- البلاغة التطبيقية د/ أحمد أبو موسى - دار التضامن.

٨- التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور - بدون.

٩- التسهيل في علون التنزيل - بدون.

١٠- تفسير ابن كثير-للصابوني- دار الشعب بمصر ط البابي الحلبي.

١١- تفسير أبي السعود - لأبي السعود محمد بن محمد العمادي - نشر دار المصحف بالأزهر.

١٢- تفسير البحر المحيط - أبي الحيان التوحيد - دار الفكر.

١٣- تفسير الجلالين - ط البابي الحلبي وشركاه.

١٤- تفسير الخازن - المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل - البغدادي - وبهامشه تفسير البغوى للقراء - ط ١٩٥٥م.

١٥- تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي.

١٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم - د / محمد طنطاوي - ط ١٤٠٦هـ.

١٧- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير - الرازي - دار الفكر.
١٨- تفسير القرآن الكريم المسمى أنوار التنزيل د/ اسرار التأويل - البيضاوي - الأزهر بمصر.
١٩- التفسير الواضح. ط سابعة ١٩٩٩م.
٢٠- تجريد البيان لتفسير القرآن من صفوة التفاسير ١٩٦٨م.
٢١- تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي - بدون.
٢٢- الجامع لأحكام القرآن الكريم - القرطبي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٩٦م.
٢٣- جامع البيان في تفسير القرآن - الطبري - دار الجبل بيروت لبنان.
٢٤- حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص- ط الحلبي و ط السعادة.
٢٥- دلائل الإعجاز - عبد القاهرة الجرجاني - بتصحيح المراغي ١٩٥٠.
٢٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الألوسي - دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان.
٢٧- سنن الدار ص دار اكتب العلمية بيروت - لبنان.
٢٨- الصاوي على الجلالين ط البابي الحلبي.
٢٩- الطراز للعلوي دار منشورات مؤسسة النقد تهران.
٣٠- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير - الشوكاني صيدا بيروت ١٩٩٢م.
٣١- في طلام القرآن - سيد قطب - دار الشروق.
٣٢- قبسات من القرآن والسنة - بدون.
٣٣- قرة العيون على الجوهر المكنون - بن على العزي المالكي بتحقيق د / منى محمد علي ١٩٩٠م.
٣٤- الكشاف - الزمخشري - ط ١٩٤٨م - ١٩٧٩م.

٣٥- لسان العرب - لابن منظور - بتحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله ومحمد الشاذلي.
٣٦- متشابة القرآن - للقاضي عبد الجابر - بتحقيق د/ عدنان زرزور - دار التراث.
٣٧- مجمع الزوائد مكتبة القدس.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية ١٩٨٩م.
٣٨- كيم
٣٩- مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة تحقيق حمدي السلفي.
٤٠- مطول على التلخيص - التفتازاني - مطبعة أحمد كامل.
٤١- مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص طبع الحلبي.
٤٢- مورد الظمآن إلي زوائد ابن حان الحافظ الهيثمي دار الكتب بيروت.
٤٣- من أعلام المفسرين - للشيخ محمد على الصابون ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م.
٤٤- مجلة الأزهر ١٩٤٩م - ١٩٦٨م.
٤٥- مجلة الهداية - دولة البحرين - ١٤٠٩هـ.
٤٦- النكت في إعجاز القرآن - الرماني -ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن بتحقيق الدكتور / خلف الله سلام - دار المعارف ١٩٧٠م.